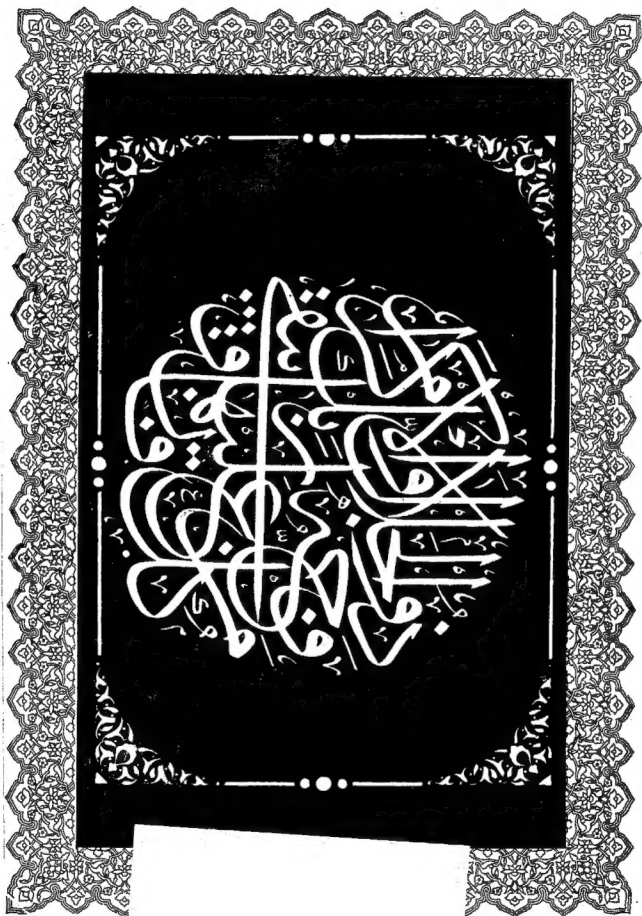


# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة - العدد ١١٤ - جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ - يونيو ١٩٧٤ م



## المعادى

## مسجد الروضة

۱۹۷۵ ع



أحد المساجد الفخمة بمدينة دمشق . ويقع في حي من أرقى أحيائها وهو مشيد على الطراز العربي الجميل وجمع بين روعة الفن وجمال الموقع .

## الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

# AL WAIE AL ISLAM

Kuwait P.O.B. 13

## البيئة المعاصرة

الممدد ١١٤

جمادی الآخر ۱۳۹۴ هـ

يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م

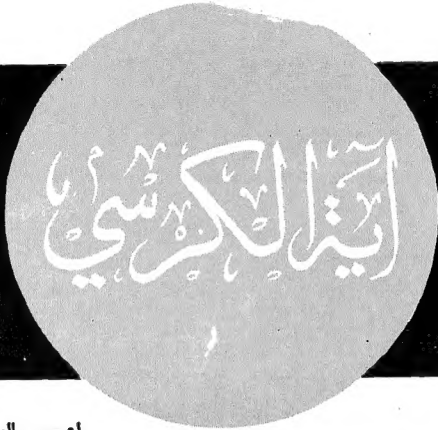
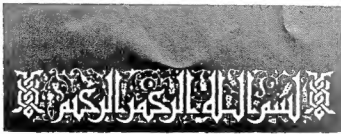
هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والنسبية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
بالمكويت في غرة كل شهر عربي  
الاشتراك السنوي للهيئات فقط  
أما الأفراد فيشترون رأسا  
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ - كويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨



### لَعَالَم كَبِير

« الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الارض ، من ذا الذى يشفع عنده الا بافنه ؟ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والارض ، ولا ينوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

هذه الآية تعرف بين المسلمين بأية الكرسي ، وقد نوهت السنة النبوية بفضلها ومكانتها ، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى فى الحديث عن ذات الله وصفاته .

( ١ ) « الله لا اله الا هو .. » ليس فى الوجود احد يتجاوز مرتبة العبودية ، فكل ما عدا الله عبد له ، وهو وحده المتفرد بالالوهية فى السموات والارض .

من قال عن نفسه أنه اله فهو كاذب ، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة ، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجادات والدواب آلهة ، وهذه أعصار الانحطاط الذهني والنفسي التي نرجو أن يتم خلاص البشر جميعا منها .

ولكن الضلال الشائع الى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة أنهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم .  
وقد حارب الاسلام هذه الضلة حربا شديدة ، وأكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا الى مصاف الآلهة ، وأن الله العلي الكبير لا يمكن أن يهبط الى منازل البشر .

انه الاله الذي خلق غيره ، ومنحه الحياة ، وقام على امره من المهد الى اللحد : « **وَاتَخَفُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** » .

ورسول الاسلام - وهو قمة البشرية - عندما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة : « **اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمك ومضى قبضتك . ناصيتي بيدك ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك** » .

( ٢ ) « **الحى القيوم** » . والاحياء من الخلق ليس لهم من انفسهم ما يوجب الحياة ، ان الحياة عرض مفاض عليهم من خارج انفسهم .

وهو عرض يفارقهم يوما ولا يعود اليهم الا وفق مشيئة بغيضة جل شأنه ، الحى الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، فحياته وصف ملازم له أزلا وأبدا ، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق .

ومن ثم يقول الله لنبيه : « **أَنْتَ مَيِّتٌ وَأَنْهُمْ مَيِّتُونَ** » أما المتفرد بالحياة العظمى فهو الله .

ولما كانت هذه الحياة وضاحة ناعحة ناسب أن يجيء عقبها وصف القيوم أى الذى يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها ، ويشرف اشراف احاطة وهيمنة على شئونها وأحوالها فهو أحوج ما تكون اليه وهو أغنى ما يكون عنها ..

وقد ورد في الآيات والاثار أن الله قائم على كل نفس بما كسبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن .

والقائم على الشيء ، والقيم عليه أو القوام عليه ، الفاظ تتفاوت في الكشف عن هذه الاحاطة الشاملة لفنون التصريف والوان السيطرة على العالم .

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة في المبالغة ، اشارة الى من المستحيل أن يفلت زمام الأمور من الخالق ، أو أن تسير في وجهة غير ما قضى ، اذ كل شيء يستند في وجوده وبقائه وتقلبه الى هذا الوجود الأعلى : « **أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَلَئِنْ زُلُّتَا أَفَ امْسَكَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ** » .

وهذه الجبلة - الحى القيوم - أولى الجمل التسع التي ترادفت أشبه بالاستدلال على الوجدانية المتقررة في الجبلة الاولى من آية الكرسي .

اذ هذه الأوصاف تنفى الشركة نفيا حاسما ، وتشهد للبارى أنه لا اله غيره .

( ٣ ) « **لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** » السنة ما يخالط الأجفان من أوائل النعاس ، والنوم هو الاستغراق التام .

والمراد أننا نحن البشر ندركنها ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا .

بل نحن في إبان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهني نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا .

وعند الكلال يضعف هذا الانتباه ، وتهن العزيمة ، وتكثر الأخطاء . لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغفل عن أمر في السماء لاهتمامه بأمر في الأرض ، ولا تلحقه عوارض الوهن والإعياء ، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة في العرش أو الفرش لسهو أو إغفاء ..

(٤) « **له ما في السموات وما في الأرض** » الله واسع الملك . وما تقول في غنى يشمل آفاق السموات ومجاذ الأرض .. ؟  
ان العالم كله ، علوه وسفله ، ملك لله وحده .

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله ، ليس لهم في هذا العالم ذرة ، ان كانوا أصناما فما هي الأصنام .. ؟ تماثيل نحتها المصهورون منهم في الحقيقة يملكونها ولا تملكهم .

ان كانوا بشرا ، هؤلاء البشر ملك لمن صوّرهم في الأرحام ، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير ، ولو شاء أن يقف دقائق قلوبهم في أية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد ..

ان هناك ملاكا على المجاز يضجعون أيديهم على بعض التراب ليرتفعوه حيناً ، وربما طفوا بها يملكون ظاهراً ، ثم .. يجيئهم الموت فيدعون الحياة صفر الأيدي ، يدعونها لملكها الحق الذي له ميراث السموات والأرض « **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتكم ما حولناكم وراء ظهوركم** » .

(٥) « **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** .. » القاعدة العامة في الإسلام انه لا شفاعة لمشرك ، أو ملحد .

وانه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به الى الله ليقول له أعف عن فلان أو أترك فلانا .

وان الأساس الأول للنجاة هو الإيمان والعمل الصالح .  
ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : « **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** » .

ويقول مخبراً عن مصائب المشركين والمجرمين « **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار** » .

ويقول أيضاً « **وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى** » .

وقد يتبع — لن ينجون بأعمالهم — شيء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون .

أو يقع — لن قاربوا ولم يصلوا — شيء من العفو ينجحون به ولا يرسبون ويجعل الله السبب الظاهر في ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين .

وهي شفاعة لا ترجع الى أن هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته ، كلا ، فما يجرؤ ملك ولا نبي على أن يقف من الله هذا الموقف .

انهم لا يشفعون الا باذنه ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى .  
قال تعالى : « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم  
وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » .  
« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا » .

وربما قال قائل : ولم هذه الشفاعة وما قيمتها ؟ والجواب انها لا تعدو  
لونا من اكرام الله فى الدار الآخرة لمن اهينوا بسببه فى الدنيا ، فيريد الله ان  
يصلح بالهم وأن يعلى قدرهم ، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة ،  
وأن يطوى قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم واعزازهم لما سبق اليهم من  
فضل على أيديهم .

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل ، ولا تعطل موازين الحساب  
ولا يحتاج اليها سابق بالخير ، ولا ينتفع بها مارق من الحق .  
(٦) « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » ليس يخفى على الله شيء فى الأرض  
ولا فى السماء ، وعلم الأيس واليوم والغد عنده سواء . كان العالم منذ  
خلق ، والى أن تبدل معاملة صفحة واحدة يستوى فيها القريب والبعيد  
والاول والاخر .

وذاك — بداهة — لأن الخالق يعلم ما خلق ، ولا يتصور أن أحدا صنع  
من ورائه شيئا فيكون هو — سبحانه — جاهلا به .  
ان الإبداع — وهو إبراز شيء من العدم — لا يقدر عليه الا الله .  
والتغيرات التى تحدث فى المادة — وهو محور الأعمال البشرية — لا تتم  
الا بأقدار الله ، ومن هنا كانت احاطة العلم .  
ومن هنا كان معنى قولنا : ان الله لا يعلم هذا الشيء . ان هذا الشيء  
لا وجود له . اذ لو كان موجودا لعلمه حتما ، وهذا معنى الآيات الكريمة .

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا  
عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى  
عما يشركون » .

ولقد تجول الفكرة فى خاطرى — وكم يحمل تيار الشعور السارى فى  
كيان المرء من خطرات ، وسوانح — فأقول : ان الله يعلم هذه الخطرة المارة ،  
كما تمر السحب بالآفاق .

ثم أقول : وعلمه بها منذ اجيال !  
وأستلنى القول : وهو يعلم من غيرى مثل ما يعلم منى !  
ومن غيرى ؟ الوفاء مؤلفة تزحم أرجاء العالم .  
وعلمه يسبح هؤلاء فى عصرنا . وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا !!  
وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور الا أن يهتف بالآية .  
« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك  
وقهم عذاب الجحيم » .

(٧) « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » ينباع المعرفة تنجس ابتداء  
من مشيئة الخالق ، حتى العلم بما يقع فى مجال السمع والبصر ، انه لولا  
ما ركب فى الانسان من عقل مدرك لمخ ، ما استطاع أن يفقه ما حوله  
شيئا .

BEHAVIORAL SCIENCE  
BY DR. A. M. ALI

والاطلاع على ما هو أعق من ذلك موكل الى مراتب الذكاء الانساني ،  
وانصبنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن اجنة في بطون الامهات .

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشرى على آفاق من العلم  
محدودا بما تهيم المشيئة العليا من اسباب عادية او غير عادية .

ومصادر المعرفة المعتادة مبنوثة في كتاب الكون المفتوح ، وفي تجارب  
الناس مع الحياة العامة ، ويمكن بالوعي والتأمل والتجربة ان نبغ آمادا بعيدة  
في هذا المضمار دون حرج ودون قيد .

اما المعارف الغيبية التي مصدرها الوحي الاعلى ، فان الله قد اصطفى لها  
رسله الاولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة .

وان يحيط أحد بشيء من هذا العلم عن الاتصال بالله او بملائكته ، ومن  
زعم ذلك فهو كاذب .

وتريب من ذلك الانباء بالغيوب ، فان هذا ليس من العلوم الميسرة ، للخلق  
حتى تتاح فرصها للبشر على سواء ، ولا مكان لوحى ينزل به بعد انقضاء  
النبوءات .

ومن ثم فلا يقبل من احد القول بأنه داخل ضمن الامكان العام في قوله  
تعالى : « **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** » .

(٨) « **وسع كرسيه السموات والأرض** » .

المتبادر الى الأذهان ان السموات والأرض هما حدود الملك الالهى ، وهذا  
خطأ ، فانهما بعض آثار القدرة العليا فحسب ، وكذلك قال في آية أخرى :  
« **ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة** » .

وقال : « **ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ..** » .

هما من آيات الله ، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها ، وكرسى  
من الرحابة بحيث يسع السموات والأرض وسائر ما لا نحصى من آيات .  
ونحن لا ندري ما الكرسي ؟ ولا نكلف باكتناه ذلك .

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحى به من الاشراف الالهى العالى  
على سائر الخلق ، ما نرى منه وما لا نرى منه ، وان السموات والأرض  
ما يستغرقان الاجزاء من الملكوت الواسع الذى اشتمل عليه هذا الكرسي « **والله  
من ورائهم محيط** » .

(٩) « **ولا ينوده حفظهما** » لا يتجشم أية مشقة في ضبط السموات والأرض  
وتدبير الأمر بينهما ، كما انه لم يتجشم أية مشقة في الخلق الاول ، وهذا  
ما ذكره في قوله « **والسما ينيناها بايد وانا لموسعون** » .

اى ان ذلك البناء شيء هين الى جانب ما فى وسعنا ، كما ينفق صاحب  
القناطير المتقطرة من الذهب والفضة فلوسا قليلة ، فلا يرى انه اعطى شيئا  
طائلا ، كذلك - والله المثل الاعلى - بناء العالم وحفظه ، وما يتعب الخالق  
المدير ، ولا يثقل ولا يرهقه ، لفرط عظمته .

والجملة السابقة في وصف الكرسي تشير الى علو الذات . ولذلك جاءت  
الجملة الأخيرة .

(١٠) « **وهو العلى العظيم** » .

تذييلا يختم المعانى السابقة بذكر اسمين من اسماء الله الحسنى مناسبين  
للمقام ، مقام العلو والعظمة الواجبين لذى الجلال والاکرام .



# لفصص القرآن

٢

للاستاذ محمد عزة دروزة

- ٦ -

يجنح بعض العلماء والمفسرين الى القول او الظن بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم شيئا من القصص القرآنية التي كان يوحى اليه بها قبل نزولها . بل وإلى القول أن جميع معارف النبي صلى الله عليه وسلم ومكتسباته هي من الوحي وحسب .

ولسنا نرى هذا وجيها لا من وجهة نظر الوحي القرآني ولا من وجهة نظر النبوة . ولا من وجهة نظر الوقائع والحقائق . فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعيش قبل نزول الوحي عليه في بيئة فيها كتابيون يروون ما في كتبهم من قصص ويتداولونها . وهناك روايات تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس اليهم ويسمع منهم . وفي القرآن اشارة ما الى ذلك حيث كان المشركون يعرفون اتصاله بهم فنسبوا ما يبلغه وحى الله له ويتلوه على الناس إلى تعليمهم . وقد تضمن ذلك آية سورة النحل هذه ( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ) ( ١٠٣ ) وآية سورة الفرقان هذه ( وقال الذين كفروا أن هذا إلا افك افتراه وأما عليه قوم آخرون

**فقد جازوا ظلما وزورا )** والآيات تنفى التعليم والاعانة دون الاتصال . ولم يكن المشركون يقولون ذلك لو لم يروا اتصاله بهم . وهو ما أيدته روايات عديدة فى كتب السيرة والتفسير مع ذكر أسماء لأفراد من أهل الكتاب كانوا فى مكة . وكان أهل بيته النبى صلى الله عليه وسلم يرحلون الى البلاد المجاورة للجزيرة العربية التى كانت بيئات متحضرة وكتابية على الأغلب مثل العراق والشام ومصر والحشة وجنوب الجزيرة ويرون فيها مختلف المشاهد الحاضرة والغابرة . وقد أشير الى ذلك فى بعض آيات قرآنية أوردهاها قبل . وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد قام ببعض الرحلات فى شبابه الى هذه البلاد وسمع ورأى وشاهد . ورواة العرب يروون ما يتناقله الأجيال من أخبار وأحداث وقصص عربية . فليس من المعقول ولا من الطبيعى أن يقال أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهل هذه القصص كليا أو جزئيا . وفى ما ذكرناه قبل فى صدد قصة يونس دليل بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وبالنسبة لما كان يتداوله أهل الكتاب من أحداث أسفارهم وما فيها من أسماء وشخصيات . ومعرفة النبى لهذه القصص قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع وحى الله القرآنى بها ولا مع نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . لأن الوحى القرآنى بالقصص قد استهدف كما قلنا التمثيل والتذكير والإنذار والموعظة والتسلية والتثبيت ولم يستهدف التاريخ والأخبار والسرود والتعريف . ويتبادر لنا أن ذلك القول أتى من عدم النفوذ الى مرمى وهدف الوحى بهذه القصص عن حسن نية ، وليس من تعارض قط بين وحى ما اقتضت حكمة التنزيل إحصاء منها بالأسلوب الذى أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد عرفه منها قبل نزول الوحى بها نزل منها . ولقد كان فى بيته النبى صلى الله عليه وسلم تقاليد دينية واجتماعية متنوعة . وكان يجرى فيها أحداث متنوعة شاهد النبى بعضها وسع بعضها . وعاش بعضها . ولقد ذكر القرآن كثيرا من ذلك . وليس من أحد يدعى أو يصح أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف ذلك قبل بعثته . وهذا وذالك من باب واحد .

وواضح أن هذا ليس مخلا بقدر النبى صلى الله عليه وسلم وعظمته التى انما كانت تقوم فى الحقيقة على ما امتاز به من عظمة الخلق وقوة العقل وصفاء النفس وكبر القلب وعمق الإيمان والاستغراق بالله . ولقد قرر القرآن طليعة النبى البشرية فى آيات عديدة وأمره الله أن يعلنها للناس كما جاء فى آية سورة الكهف هذه ( **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ) . وآية سورة الأعراف هذه ( **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ) وهذا متصل بهذه الطبيعة التى من البديهي جدا أن لا تتناقض مع معرفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان متداولاً فى بيئته أو فى أى بيئة ونحلة تيسر له الاتصال بأهلها من أقوال وأفكار وأخبار وعقائد وتقليد وظروف وأحداث حاضرة وغابرة . بل أن من البديهي جدا أن يكون عارفاً لما بكل ذلك غير غافل عنه . وأن هذا هو المعقول الذى لا يصح فى العقل غيره . واننا لنفسر بالمعنى مما أبداه ويديده بعض العلماء المسلمين من حرص على تأكيد كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له معارف مكتسبة . مما لا يتسق مع المنطق

والمثل والبداهة توهم بأن في هذا مأخذاً ما على كون ما بلغه النبي من القرآن الذي فيه الأخبار والقصص السابقة أتى من هذه المعارف . ونرى في هذا التوهم خطأ أصلياً في فهم معنى ومدى الرسالة النبوية التي هي هداية وإرشاد ودعوة التي لا يعمد بمهنتها العظمى إلا لمن يكون أهلاً لها في عقله وخلقه وروحه وإيمانه ووعيه ومعرفته بما يدور في المجتمع الذي يبعث إليه كما ذكرت آية الانعام ( الله اعلم حيث يجعل رسالته ) كما أنه أتى فيها يتبادر لنا من عدم ملاحظة كون القرآن نوعين متميزين أساساً ووسائل أو محركات ومثابهاات وكون الوحي القرآني هو الأسلوب الذي يوحى به في ما يجب على النبي وعلى الناس عمله والسير عليه والتذكير والتبشير والانتذار به .

ومما يورده بعضهم آيات سورة العنكبوت هذه ( وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ) ( ٨٦ و ٨٧ ) التي فيها دلالة على أمية النبي صلى الله عليه وسلم حيث يظنون على ما يبدو أن اكتساب المعارف والإطلاع على ما عند الناس من أخبار وأفكار وكتب إنما هو حصر على القسارىء الكتّاب . وليس هذا صحيحاً دائماً كما هو المتبادر . وهو ناشئ من قياس الغالب بالحاضر . وهو قياس مع الفارق أيضاً . والآيات والله اعلم بسبيل تقرير كون الدعوة التي يدعو إليها النبي صلى الله عليه وسلم وما يبلغه في مسدها إنما هو وحي رباني غير مقتبس من كتاب . وبسبيل تنبيه المشركين إلى أنه لا يصح أن يكون عندهم شك في ذلك لأنهم يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ويكتب . وانهم إذا جحدوا آيات الله التي يبلغهم إياها النبي الذي اختصه الله بمهمته وبيناته فيكونون ظالمين مكابرين . وأمية المرء لم تكن في وقت من الأوقات بانسة من أن يختزن كثيراً من المعارف والصور والروايات والنصوص الطويلة سماعاً ومشاهدة . وهناك من يفوق في ذلك على غير الأميين . وهذا بالإضافة إلى أن الأمية في الزمن القديم وفي بيئة النبي كانت هي السائدة ولم يكن هذا ليمنع نبهاء هذه البيئة من اختزان المعارف والصور والروايات والنصوص المحبسة والعالية التي كانوا يشاهدونها ويسمعونها في بيئتهم وخارج بيئتهم . ومما يورد أيضاً للتدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا نشاط وحركة وتطلع ما قبل نزول الوحي عليه هذه الآيات :

١ - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون . ( يونس ١٦ ) .

٢ - وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك . ( القصص ٨٦ )

٣ - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . ( ص ٨٦ ) .

٤ - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ( الشورى ٥٢ ) .

والآيات قد تفيد شيئاً من ذلك . ولكنها لا يمكن أن تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غافلاً عما يجري ويروى ويتداول في بيئته من أخبار وأحداث وصور ومثاهد حاضرة وغابرة .

## - ٧ -

ويغمر المحدثون والمبشرون الحاقدون النبي صلى الله عليه وسلم بسبب

ما بين القصص القرآنيـه والأسفار والكتب التي وصلت إلينا والتي كانت على الأغلب متداولة في زمن النبي بين أيدي أهل العلم والكتاب من تطابق ما . ويقولون أنها مقتبسة منها . ولقد قال كبار العرب ذلك في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم وحكاه القرآن عنهم بدون أي حرج مؤكدا أن الله الحكيم الذي يعلم السر هو الذي أوحى به وأنزله كما جاء في آيات سورة الفرقان هذه ( وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما ) ( ٥ و ٦ ) .

ونقول ردا على الغامزين المحدثين أن ما بين القصص القرآنية والأسفار والكتب القديمة من تطابق ليس من شأنه أن يطعن بصحة وحياها الإلهي . لأنها لم تجيء للسرد التاريخي وإنما للعظة والعبرة والتذكير . وليس من تعارض بين هذا وذاك بل أن ذلك من الحكمة المتبادرة من إيرادها في القرآن كذلك على ما شرحناه قبل من حيث أن السامعين يتأثرون بما يعرفون . فليس من محل ولا معنى للغمز والنقد كما هو واضح . بل أن في الغمز والنقد دليلا على غفلة الغامزين والناقدين عن مدى وههدف الوحي القرآني بالقصص . أي المظلة والعبرة والتذكير والإنذار والتبشير وضرب المثل .

ولقد غمزوا النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن من ناحية أخرى أي من ناحية ورود بعض القصص القرآنية متباينة أو زائدة أو ناقصة بالنسبة لما ورد في الأسفار . ومن ذلك مثلا تسخير الجن والريح والطير لسليمان والجبس والطير والحديد لداود وقصص إبراهيم مع قومه ومع الملك . وجزنيات كثيرة في قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبنى إسرائيل ويونس وأيوب الخ . وقالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم خلط أو أخطأ فيها أو اخترع ما ليس وأردا منها في الأسفار والكتب . وهذا القول متهافت . والمتعمن في ما جاء في الصيغ القرآنية لا يجد له ضرورة فنية ولا أسلوبية — ونقول ذلك من قبيل المساجلة — حتى يخترعه النبي صلى الله عليه وسلم أو يزيد عليه أو ينقص منه ، ولا يستطيع أحد أن يدعى بصدق أن الأسفار والكتب المتداولة اليوم هي كل ما كان في أيدي أهل العلم والكتاب والأمم الأخرى في زمن النبي وقبله كما أن أحدا لا يستطيع أن يدعى بصدق أنه لم يكن نسخ أخرى مما وصل إلينا فيها ما ورد في القرآن مما لم يرد في النسخ التي وصلت إلينا . فالكتب كانت تنسخ وكان النساخون وهذا ديدنهم في كل وقت ينسون ويخطئون ويزيدون وينقصون فتكون النسخ للكتاب الواحد متباينة وفي بعضها زيادة وفي بعضها نقص . وفي أسفار العهد القديم التي وصلت إلينا أسماء أسفار كثيرة من جعلتها سسفر التوراة شريعة موسى لم تصل إلينا . وفي الأناجيل المتداولة اليوم والأسفار الملحقة بالعهد الجديد ذكر لأنجيل عيسى ولم يصل إلينا . وهناك روايات عن أنجيل عديدة أخرى لم تصل إلينا وبين نصوص الأسفار التي وصلت إلينا من مجموعتي العهد القديم والعهد الجديد تضارب وتناقض وزيادة ونقص واختلاف مشاهد حيث يفيد هذا أن الذين كتبوها قد استقوها من مصادر مختلفة فسمعت أو بادت . ولقد اكتشف في مقارة في جهة البحر الميت أوراق من سسفر اشعيا قال الدارسون : إن بينها وبين ما هو متداول معروف من هذا السفر تباينا . وفي القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا يخفون كثيرا مما في أيديهم منها هذه الآيات :

١ - يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . ( المائدة ١٥ )

٢ - وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا . . ( الأنعام ١٦٠ ) .

وفي سورة النمل هذه الآيات : ( ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين ) ( ٧٦ و ٧٧ ) حيث تنيد أن القرآن قد جاء بما هو الحق والصدق والصحيح .

وفي سورة المائدة هذه الآية ( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه . . ) ( ٤٨ ) حيث تنيد أن القرآن متطابق في الأسس والأهداف مع كتب الله السابقة وأنه ضابط لما هو الصحيح من وحى الله . ومصحح لما يمكن أن يكون وقع في هذه الكتب من تحريف ورتيب عليها . ولقد كانت هذه الآيات والقصاص القرآنية تتلى علنا . ويسمعا أهل الكتاب ولا يمكن أن يكون ما جاء فيها جزافا ، وغير وارد في أسفار وقراطيس في أيدي أناس أو غير مروي على السنة أناس ثم ضاع أو نسي . ولقد آمن كثيرون منهم قدروا على التغلب على أنانيتهم وأهوائهم . وأعلنوا صدق القرآن كما حكي ذلك عنهم في آيات عديدة منها هذه الآيات :

١ - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم . ( آل عمران ١٩٩ ) .

٢ - لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . ( النساء ١٦٢ ) .

٣ - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . . ( المائدة ٨٢ و ٨٣ ) .

٤ - قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا أن كان وعد ربنا لمفعولا . ( الاسراء ١٠٨ ) .

وليس هناك أية رواية فيها انكار أهل الكتاب لشيء مما ورد في قصص القرآن . ولقد حكى القرآن بدون حرج نسبة الكفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بانتراء القرآن وكذبه ورد عليهم .

وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من مواقف اليهود من النبي والاسلام ومحاولاتهم الدس والتفرقة والتشكيك . فلو كان صدر شيء من ذلك لحكاه وردة عليهم .

وفي كل هذا حجة لا تنزع من يبنى الحق ، ولا يكون موقفه موقف المكابر العنيد الذي جعل إلهه هواه .



ونحن نعرف أن هناك ما يمكن إيراده بالنسبة للنقطة الأولى . أي كون

القصص مما كان معروفا من النبی صلی الله علیه وسلم والسماعین من قومه .  
حيث ورد فی القرآن آیات قد تبدو أنها تناقض ذلك وهی :

١ - **ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون** .. ( آل عمران )

٢ - **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين** .. ( هود ٤٩ ) .

٣ - **ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون** .. ( يوسف ١٠٢ ) .

ونقول فی صدد ذلك : ان قصتي نوح ويوسف عليهما السلام قد وردتا فی سفر التكوين اول أسفار العهد القديم المتداول اليوم والذي نعتقد أنه كان متداولاً فی بيئة النبی صلی الله علیه وسلم . واهل بيئته وهو نفسه كانوا متصلين بالكتابين ويعرفون أخبارهم وما فی كتبهم على ما تفيدہ آیات عديدة أوردناها قبل وعلى ما جاء فی شرحنا السابق . فليس مما يصح فرضه أن يكون النبی صلی الله علیه وسلم والعرب السامعون أو بعضهم جاهلين هاتين القصتين .

ولقد أشير الى نوح وموقف قومه منه اشارات خاطفة فی سور مبكرة فی التنزيل بأسلوب يلهم أن قصتهم مما كان معروفا متداولاً مثل سورة النجم ( الآية ٥٢ ) وسورة ق ( الآية ١٢ ) وسورة القمر ( الآيات ٩ - ١٥ ) وسورة ص ( الآية ١٢ ) .

ولقد ذكر فی سورة نوح أسماء أصنام قوم نوح ( ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ) وذكرت الروايات أن بعض قبائل عربية فی زمن النبی صلی الله علیه وسلم وقبله كانوا يعبدون هذه الأصنام ويعرمون ويقولون أنها أصنام قوم نوح . ولقد وردت قصة نوح مفصلة فی سور ترتيبها سابق لسورة هود فی النزول مثل سور الأعراف ويونس والقمر . وليس فيها تنبيه مثل التنبيه الذي احتوته آية سورة هود . ووردت مفصلة أيضاً فی سور الشعراء والصفاء ونوح والأنبياء والمؤمنون والمنكوبت خالية من مثل هذا التنبيه .

ولقد جاء فی مطلع قصة يوسف فی سورة يوسف هذه الآية ( **لقد كان فی يوسف واخوته آیات للسائلين** ) ( الآية ٧ ) وهذا النص يفيد أن من السامعين من كان يسمع قصة يوسف وانهم قد يكونون طلبوا من النبی صلی الله علیه وسلم تفصيلاً ذلك فأوحى الله بالقصة كما جاءت فی سورة يوسف . ومتطابقة كثيراً مع ما جاء فی سفر التكوين مع تباین فی بعض الجزئيات . ولا نرى هذا يتناقض أو يتعارض مع احتمال أن يكون النبی صلی الله علیه وسلم يعرف تفصيل هذه القصة فی سفر التكوين أن نسخه المختلفة التي يمكن أن يكون بينهما تباین ولم يصل إلينا منها الا النص المتداول .

وقصة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام واردة فی الاصحاح الاول من انجيل لوقا المتداول اليوم بما يقرب لما ورد من ذلك فی سورتي مريم وآل عمران . وفي الاصحاح خبر جبل امرأة زكريا يبحيي عليهما السلام وهی فی شيخوختها بأمر الله وقدرته . ووصفت بانها نسيبة مريم . وهذا يعنى أن حياة مريم قبل ولادتها لعيسى ونظر أمها بها فی بطنها وكفالة زكريا لها والاختلاف على كفالتهما والافتراع على ذلك بما عبر عنه القرآن بجملة ( **يلقون اقلامهم ايهم يكفل**

**مريم** ) كل كذلك مما يمكن أن يكون متداولاً في أوساط النصارى في البيئة النبوية ومما يمكن أن يكون قد سمعه وعرفه كلياً أو جزئياً النبي صلى الله عليه وسلم وقومه . وفي كتب تفسير الطبري وابن كثير بيانات في صدد ذلك معزوة إلى علماء الأخبار من أصحاب رسول الله وتابعيه مما يؤيد ذلك .

ولقد قال المفسر الخازن تعليقا على آية سورة هود : أن قصة نوح مشهورة وأنه ليس ممسا يحتل أن لا تكون معروفة وأنه يجب صرف الآية إلى قصد عدم معرفة النبي وقومه جميع تفصيلاتها . وهذا قول وجيه مع إضافة شيء عليه وهو عدم معرفة النبي وقومه جميع التفصيلات التي جاءت في سورة هود بخاصة . لأن مثل هذا التنبيه لم يرد في سياق القصة في السور الأخرى ثم عدم نفي أن تكون التفصيلات التي لم يكن النبي وقومه يعرفونها قد وردت في أسفار وقراطيس كان الكتابيون يتداولونها . والله تعالى أعلم .

ويصح أن يشمل هذا القول ما جاء في سورة يوسف من تفصيلات في قصة يوسف وأخوته . وما جاء في سورة آل عمران في قصة مريم أيضا حيث تكون حكمة التنزيل اقتضت الإيحاء بما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقومه لا يعرفونه من تفصيل القصص الثلاث مع عدم تعارض ذلك مع احتمال أن يكون ذلك وارداً في أسفار وقراطيس أخرى .

وهناك آية أخرى تساق أيضا . وهي آية سورة يوسف هذه ( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين . . ( الآية ٣ ) . وإزاء ما ذكرناه وشرحنه من حقائق ووقائع لا مناص من تأويل الآية بتأويل لا يتناقض مع ذلك أيضا فيقال والله أعلم أن القصد هو التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غافلا عن حقيقة تلقى وحى الله القرآني أو عن أمور كثيرة من هذه القصص .

## - ٩ -

وينتظار بعض الأدباء ومنهم مسلمون فيطلقون على أسلوب القصص القرآنية نعت ( الفن القصصي ) في القرآن . ولا ندري ماذا يقصدون من ذلك . فإذا كانوا يعبرون بهذا الوصف عن توهم كون القصص القرآنية حبكة بالخيال والتزييق والافتعال كما هو شأن القصص في ذلك تجوز وسوء أدب . لأن القصص القرآنية منزّهة عن كل ذلك . فقد كانت كما قلنا معروفة مروية متداولة . فأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى للذين أوحيت بها لتحقيق هدف الموعظة والتذكير والمثل والعبرة والالزام والإفحام والإنذار والتبشير . وقد يكون من مقاصدهم بذلك النعت التنويه بروعة الأسلوب الفني الأدائي الذي جاءت عليه هذه القصص وما فيها من صور كلامية رائعة . وهذا خطأ بدوره . لأن روعة الأسلوب والصور الكلامية في القصص القرآنية ليست أمراً متميزاً عن روعة الأسلوب والصور الكلامية في سائر مواضع القرآن وآياته ونصوله . فكل هذا بارز في كل مواضع القرآن الأخرى . سواء أكانت أمثالا أم آيات في مشاهد الكون والخلق أم في المشاهد الأخروية . أم في الجهاد . أم في الأخلاق والاجتماع . أم في الجدل والحجاج أم في الإنذار والتبشير . ففي كل ذلك كما

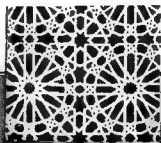
فى فصول القصص من الصور الكلامية الرائعة والأسلوب الأخاذ ما هو نافذ الى أعماق القلوب والعقول . وكل ما جاء فى القرآن من ذلك قد هدف الى هدف وحقق الهدف الذى جاء من أجله .

## - ١٠ -

هذا . وقد يسأل سائل عما اذا كانت القصص القرآنية حقائق ووقائع تاريخية فى جزئياتها وكلياتها . ومع أن بعض علماء المسلمين قالوا انه ليس فى قصص القرآن ما هو مستحيل عقلا أو ما يثبت قطعيا عدم وقوعه أو مما ليس محتملا أن يكون وقائع تاريخية حقيقية . ومع ما فى هذا القول من سداد فائنا نرى الأولى والأفضل أن نكتفى بالقول وأن يكتفى المسلم معنا بالقول أن كل ما فى القرآن وحى ربانى وأنا ( آمنا به كل من عند ربنا ) مع القول أيضا أن هذه القصص لم يوح بها لتقرر وقائع تاريخية . وأن الوقائع المذكورة فيها كانت معروفة عند سامعى القرآن أو واردة فى كتب وقراطيس أو متداولة فى روايات شفوية فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم فاقترضت حكمة التنزيل بأن توحى قرآنا بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما وبترارها فى سور متعددة وبصيغ متنوعة لتحقيق الأهداف المستهدفة منها التى ذكرناها قبل . وأنها من الوسائل والمتشابهات التى لا ضرورة الى استقصاء حقائق جزئياتها ووقائع ما فيها من أحداث أو استنباط ذلك منها أو المجادلة أو النقاش والأخذ والرد فيها . وأن من الواجب الدينى بل مقتضى الحق والمعلل الوقوف عند ما ذكره القرآن . منها دون تزيد وتكلف وتخمين .

ومن الجدير بالذكر والتذكير أن القرآن لا يحتوى استقصاء لحوادث القصص الواردة فيه . ولم يكن ما احتواه منها سردا تقريريا لوقائعها حيث اكتفى بذكر ما اقتضت الحكمة ذكره بالأسلوب والفحوى اللذين اقتضت هذه الحكمة ومناسبات السياق لتحقيق الهدف الذى جاءت من أجله من عظة وتذكير وتمثيل وإنذار وتبشير وتوضيح وتلقين . وهذا واضح ملموح لكل من يمعن النظر فيها . ولو كان متوسط الثقافة . وهو ضابط مهم يجب على الناظر فى القرآن أن يلتزم به . وفى القرآن ظاهرة مهمة فيها توكيد لذلك واتساق معه . وهى أن أسلوب القرآن فى القصص وهدفه قد اتسقا مع ما ورد فيه من ذكر الوقائع الجهادية والمواقف القضائية والحجاجية وغيرها من أحداث السيرة النبوية بحيث أن الناظر فى القرآن يجد أن ما ورد فيه من ذلك انبعاثا ورد للعظة والتذكير والتنبيه والحث والتحذير والإرشاد والتعليم والتسلية والتثبيت والتشريع . وهذا ظاهر من كون المذكور فى القرآن من ذلك لا يحتوى كل الصور والمشاهد والتنصيلات للمواقف والأحداث . وإنما احتوى ما اقتضت الحكمة ذكره منها لتحقيق المقاصد المذكورة . وفى هذا دليل على الانسجام فى الأساليب القرآنية وبراميتها . والخروج من هذا النطاق هو خروج عما يلهمه القرآن من نطاق مرسوم لقصصه وتعريف له كسما قلنا للنقاش والجدل . وإخراج له عن هدفه وهو الهدى والموعظة . والتذكرى . وهو بعد ليس كتاب تاريخ . ولا يجوز النظر اليه على هذا الاعتبار . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .





# أضواء

## على حركة المناقمتين

### في عهد النبوة

للاستاذ عبد القادر طائش التركستاني

وقد بدأت حركة المناقمتين بدخول الاسلام الى المدينة المنورة واستمرت الى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرقيق الاعلى .  
ويصور ابن القيم خطورة تلك الحركة واثرها السيئ على الاسلام واهله فيقول : ( فله كم من معتل للاسلام قد هدموه وكم من حصن له قد قلعوا اساسه وخرّبوه . وكم من علم له قد طمسوه ، وكم من لواء له مرقوع قد وضعوه وكم ضربوا بمعاول الشبه في اصول غراسه ليظموها وكم عموا عيون موارده بأرائهم

ما إن بزغت شمس الدعوة الاسلامية وعمت انوارها حتى التف الأعداء حولها يكيدون لها ، ويحاولون القضاء عليها بكل ضراوة واستماتة . وكان المنساقون — الذين أظهروا الاسلام بالمسنتهم ولم تؤمن قلوبهم — أشد أولئك الأعداء وأخطرهم اثرا في حياة الدعوة . وذلك لأنهم كانوا يختلطون بالمجتمع المسلم وينتدسون في الصف الاسلامي ويقعلون أفاعيلهم — النابغة من حقدهم على الاسلام ، وحسدهم للؤمنين — وهم آمنون من ان يلومهم احد .

ليدفنوها ويقطعوها ، فلا يزال  
الاسلام واهله منهم في محنة وبليه ،  
ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد  
سرية ويزعمون أنهم بذلك مصلحون  
( الا انهم هم المستبدون ولكن لا  
يتسمعون ) ( ١ ) يريدون ليطفئوا  
نور الله بآفواههم والله متم نوره ولو  
كره الكافرون ( ٢ ) .

المواهب : - ان النفاق اسم اسلامي  
لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به  
وهو فعل المنافق الذي يستتر كفسره  
ويقيه بالاسلام كما يستتر الرجل النفاق  
وهو السرب في الأرض له مخرج غير  
الذي يتخلل إليه منه ( ٤ ) .

المعنى العام : - والمعنى العام  
للفنفاق هو : اظهار الانسان خلاف  
ما يطن في شتى نواحي الحياة  
فيتضمن الدخول في الاسلام ظاهرا  
فقط ويتضمن غير ذلك مما يكون فيه  
الظاهر مخالفا للباطن ( ٥ ) ، مثل  
التظاهر بالفضيلة في الوقت الذي لا  
يؤمن بها الانسان أو لا يمارسها في  
الواقع . والنفاق بذلك يكون ضربا من  
ضروب الكذب ولكنه ( يمتاز عن باقي  
انواع الكذب بأنه ينحط الى دركات  
الكذب السفلى ويلف في طياته كلما  
تلوى اثنتان من الجبن والمصelf  
والخسة والصفاة ويدعو الى الحقد  
والحسد والضغينة ويفتن في اخراج  
الماسى المروعة من الخبث والدهاء  
والكر السيء واكل الحقوق ( ٦ ) .

وهذه صفحات من صفات اولئك  
المنافقين واسلحتهم في محاربة  
الدعوة وعن دورهم في المعارك التي  
خاضها الرسول اردت منها أن  
التي بعض اعضاء على تلك الحركة  
الخطيرة عسى أن ننتفع بها في معرفة  
المنافقين الذين يعيشون بيننا اليوم  
وكشف حقيقتهم وفضح نواياهم لنعمل  
بعد ذلك على تصفية المجتمع المسلم  
والصف المسلم منهم حتى نستطيع  
مواصلة المسيرة الاسلامية بمزم  
وإيمان دون أن يضلنا مخذل أو  
يعوقنا معوق .

### ● تعريف النفاق :

المعنى اللغوي : يقول علماء  
اللغة : - إن النفاق مشتق من نفاقاء  
اليربوع ، واليربوع جحران أحدهما  
النفاقاء والثاني القاصعاء ، والنفاقاء  
موضع يرتقه بحيث إذا ضرب رأسه  
عليه ينشق وهو يكتفه ويظهر فيه  
فان ارتاب أو رأى الصائد آتيا  
اليه من قبل القاصعاء ( وهو  
الجحر الظاهر ) ضرب النفاقاء برأسه  
مخرج .

المعنى الخاص : - أما المعنى  
الخاص له فهو : اظهار الاسلام  
واضمار غيره أو هو التضارب بين  
المعقيدة الباطنة والمعقيدة الظاهرة ،  
يقول ابن القيم : هو أن يظهر  
للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه  
ورسوله واليوم الآخر وهو في الباطن  
منسلخ من ذلك كله ، مكذب به . ( ٧ )  
وقد أورد الفخر الرازي في تفسيره  
جدولا مؤسسا على التقسيمات  
المنطقية ، وتابعه على ذلك البدر  
العيني في شرحه للبخاري ، وقد عرفنا  
النفاق بأنه ( الانتكار العلبي والافتراء  
باللسان اضطراري ) ( ٨ ) .

وقيل : ان النفاق مأخوذ من النفق  
وهو السرب تحت الأرض ويراد بذلك  
أنه يستتر بالاسلام كما يستتر صاحب  
النفق فيه ( ٣ ) .  
وقال الزرقاني في شرحه على

ولقد حكم القرآن الكريم بكفر  
المنافقين فقال تعالى : ( ذلك بأنهم  
آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ) ( ٩ )

وقال تعالى : ( **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ) (١٠) . وقال تعالى : ( **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ) (١١) .

### ● **أسباب النفاق :**

للنفاق أسباب كثيرة تدعو إليه نذكر منها : —

١ — الخوف : فقد يؤمن الشخص بشيء ثم يرى وجوب ستر ذلك خوفاً من المجتمع كالإيمان بنظرية فاسدة أو الرغبة في سيطرة أو ملك ونحوه .

٢ — الحسد : وقد ينافق الشخص حسداً لغيره على ما وهبه الله له كحسد عبد الله بن أبي بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعطاه الله القيادة والمكانة السامية في المدينة .

٣ — وقد ينافق حبا في مال أو طمعا في شهوة وهوى .

٤ — وقد ينافق حبا في جاه مريض ومركز كبير وجلبا لدعاية يطرق في سبيل بلوغها كل الوسائل خيرا وسرا .

٥ — وقد ينافق عداوة لشخص أو مذهب ليحيك بنفاته وتظاهره بالاخلاص ومؤامراته ويخلق دسائسه

### ● **مناهي النفاق :**

وللنفاق مناهج متعددة وخطيرة ولكن أخطرها وأكثرها اثرا ما يتعلق بالنفاق في الدين والنفاق في الحرب والسياسة .

١ — النفاق في الحرب : ان الناظر

في صحائف التاريخ والواعي لوقائعه في جميع عصوره يرى جليا أن كثيرا من الحروب والماسي التي وقعت كانت تستند — في أغلبها — على قواصد من النفاق والخديعة والمكر وكلنا يعلم أن الجاسوسية والمخابرات ترتكز على النفاق والكذب في نطاقات واسعة ، وما الحرب النفسية أيضا إلا نوع من أنواع الخداع والنفاق (١٢) .

٢ — النفاق في السياسة والحكم : وجمال النفاق في هذه مهتد الأطراف فما أكثر المؤتمرات والهيئات التي تتعقد لتخرج إلى الناس : ( منتهى ما وصل إليه العقل البشري من افتئين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبث مخلوطا بالالفاظ المعسولة الجبيلة ومصبوغا بالوان مستعارة من الحق والمنطق ) (١٣) . ( ومن أكبر ميسادين النفاق دسائري الإصلاح عندما يكون موضوعها من المسائل التي يبرهن فيها الجدل وليس لها روابط محدودة كوسائل التعليم وبرامجه واختلاط الجنس والرقص وأساليب السلوك وأغلبها يدور حول محصور واحد كامن هو أرضاء الشهوات والفرائز وستر ذلك بالصور الفلسفية ) (١٤) .

وللإعلام والدعاية والبلاغة البارعة دور بارز في تنميق الأقوال وإلباس الباطل ثوب الحق فك من الأنظمة تتشدد بأناشيد الحرية والمساواة وهي التي تخفق الحريات وتكتم الأنفاس ، وكمن من المسؤولين وذوي الأمر والنهي في الأمة يدعون الفضيلة وهم أبعد الناس عنها .

٣ — النفاق الديني : — فقد اتخذ ذوو النفوس المريضة المنحرفة الدين ستارا لأعمالهم الخبيثة وجرائمهم البشعة فتجسدهم يدعون التقوى

والصلاح والاستقامة ويفرون الناس بظواهرهم ثم ياتون خبائثهم في الخفاء مطبئين من ان يلومهم احد لانهم في نظر الناس ابعد الناس عن الرذيلة ، وهذا المنحى من مناحي النفاق جد خضير واتره في نفوس الفاشئة عظيم .

٤ - النفاق في الأكرار : - وبما ان النفاق يقتضى على الانسان أن يعتبر ظواهر الامور من كل شيء دون نظر الى حقائقها فلا ضير لدى المنافق إن جرى وراء التيارات المتناقضة والمعاني المضطربة والنظريات الفارغة . بل انه ليتعمد خلق النقائص والجدال في المسائل التافهة الحثيرة او التي لا اصل لها البتة .

٥ - النفاق في المجتمع : - وهو صورة متكررة في حياة الناس تجدها في كل مكان . فالمرؤوس ينافق رئيسه والصديق ينافق صديقه والزوج ينافق زوجته التي تنافق هي أيضا ، وأكثر الناس ينافقون ذوى السلطان عليهم وذوى الجاه والمال فيهم - ونحو ذلك .

### ● الإسلام والنفاق :

اتى الاسلام بتعليمات خاصة ومبادئ معينة تتنافى كلياً مع النفاق وقد رسم الاسلام للانسان الطريق الأسس نحو بلوغه كماله ، وتحليقه في سماء الفضيلة والمثل العليا ، وقد كان ذلك الطريق متمشياً مع الطبيعة البشرية لا يصادمها أبداً ، ولا يكبت طاقاتها ومن ثم غائنا نقول بكل اطمئنان : ان الاسلام لا يلجئ الانسان الى النفاق لانه لا يتطلب من الناس ما يحوجهم الى النفاق فهو مثلاً ( لا يقول لهم ان الشعور الجنسي قدر

في ذاته فتطهروا منه وتعالوا عليه نادا عجزوا عن اطاعة هذا النداء - تلبية لدوامهم الفطرية - نافقوا ليحافظوا على تعاليم الدين . . كلا انه يتسول لهم انه امر طبيعي ونظيف في ذاته الى ابعد الحدود ( حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى في الصلاة ) بل يدعوهم دعوة صريحة الى اخذ نصيبهم من المتاع الجنسي اذ يدعوهم الى الزواج والتكثير فيه كل ما في الامر انه يمنهم من اخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان ويتيحسه لهم نظيفاً طاهراً كما يليق بالانسان . فاذا اطاع الناس تعاليم دينهم في هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة الى النفاق وانما الصراحة الكاملة والسمي الواضح المكشوف ، وكذلك الامر في بقية تعاليم الاسلام لا تجد فيها النفس السوية حرجاً يدعو الى النفاق (١٥)

### ● بدء حركة النفاق واسبابها :

بدأت حركة النفاق بعد الهجرة النبوية الى المدينة ولم يكن لها وجود بمكة ، أما الاسباب التي ادت الى نشوء هذه الحركة في المدينة : فهي الازواض الجديدة والتغييرات الجزرية التي حدثت بعد هجرة المصطفى اليها فلم تكن للإسلام في مكة دولة او قوة او عصبية يخشاها أهل مكة فينافقونها أما في المدينة ( فقد أصبح الاسلام قوة يحسب حسابها كل أحد ويضطر لمصانعتها قليلاً أو كثيراً وبخاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها انتصاراً عظيماً وفي مقدمة من كان مضطراً لمصانعتها نفر من الكبراء دخل اهلهم وشيعتهم في الاسلام وأصبحوا هم ولا بد لهم لكي يحتفظوا بمقامهم الموروث بينهم وبمصالحهم كذلك أن يتظاهروا

المجتمع المسلم وتشيتت كلمته .

٣ - كان اليهود يتطلعون الى أن يكون الرسول الأخير الذي بشرت به التوراة والانجيل منهم فلما جاء من العرب .. حسدوه حسدا شديدا وحقدوا عليه وعدوا دعوته لهم الى الاسلام اهانة واستطالة ، وأخذتهم العزة بالاثم فعملوا على الانتقام من الرسالة والرسول بأشغال نار فتنة النفاق .

٤ - شعور اليهود بالخطر المحقق بهم من جراء عزلهم عن المجتمع المدني الذي كانوا يزاولون فيه التسيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف .

لكل تلك الأسباب كان اليهود يقفون من الاسلام موقف العداء الشديد ويغذون حركة النفاق ضده بل كان كثير منهم مشتركا في تلك الحركة يعمل مع المنافقين جنباً الى جنب أمثال : أوس بن قتيظ وثاس بن قيس وزيد بن اللصيت وسعد بن حنيف .

ومن أساليب اليهود التي اتخذوها لحاربة الدعوة وزرع الشك والتردد في نفوس المؤمنين ما يلي :

١ - كان جماعة منهم يأتون رجالا من الانتصار ويخاطبونهم ينتصسون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام يكون .

٢ - وكثرتا يثيرون الاسئلة عن أشياء مريبة ومشككة فلقد جاء نفر منهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فنزل

باعتناق الدين الذي اعتنقه اهلهم وأشياعهم ومن هؤلاء عبد الله بن أبي الخرز ليتوجه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام على المدينة ( ١٦ ) .

ومن المؤكد أن للحالية اليهودية التي كانت تقيم بالمدينة الدور الأساسي والخطير في نشوء حركة النفاق ( فان لليهود تاريخا قديما وعريقا في النفاق وتدبير الدسائس والمكائد وأشغال الفتن هكذا كانوا منذ آلاف السنين ولا يزالون كما كانوا ) ( ١٧ ) .

### ● العلاقة بين المنافقين واليهود :

واذا كان لليهود دور أساسي في نشوء حركة النفاق فما هي الأسباب التي دعت اليهود الى اثاره تلك الحركة واخراجها الى حيز الوجود وتغذيتها وأمدادها بالوقود اللازم ؟ .  
يمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلي :

١ - أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لذلك فإنه يجوز لهم بل يجب عليهم أن يسفروا كل وسيلة - مهما كانت - لبلوغ مقاصدهم ومن تلك الوسائل : اسلحة النفاق والخديعة والدسيسة والكيد الماكر .

٢ - أن الاسلام حينما شاع نوره في أرجاء المدينة ألف بين تلوذ الأوس والخزرج المتناحرة وصاغ منهم مجتمعا متماسكا متضامنا قويا متوحدا مما أفسد على اليهود فرصتهم في استغلال الخصام الدائر بين الفريقين لصالحهم فعملوا على تغذية حركة النفاق لخلخلة وحدة

قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة .. » .  
وجاءه مرة جماعة منهم فقالوا :  
يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن  
خلق الله .. ١٤

٣ - وكانوا يحرضون المنافقين  
على أعمالهم التخريبية ويدلونهم على  
الخطط التي يمشون بمقتضاها  
( وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا  
بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه  
النهار واكسروا آخره لعلهم  
يرجعون ) ( ١٨ ) .

٤ - وكانوا يطلبون من المشركين  
أن يسألوا رسول الله مثل تلك  
الأسئلة التي كانوا يثيرونها فقد سألت  
قريش رسول الله بايعنا من  
اليهود عن ذى القرنين .

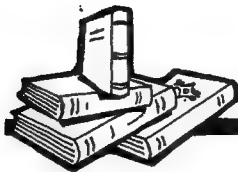
٥ - ولشدة حقهم على الإسلام  
وحسدهم للمسلمين فقد كانت قلوبهم  
تكره اجتماع المسلمين والفتهم ويروى  
أن شاس بن قيس اليهودي مر يوما  
على نفر من أصحاب رسول الله  
مجمعين فغاضه بما رأى من اجتماعهم

وتحاببهم فأمر شابا من اليهود كان  
معهم أن يذكر في المجلس يوم يباحث  
وبعض أشعار الأوس والخزرج في  
ذلك ففعل فتكلم القوم وتفاخروا  
وتنازعوا فيما بينهم حتى بلغ بهم  
الأمر أن تواعدوا للقتال فخرج عليهم  
رسول الله وهذا من ثورتهم وعرفهم  
أن ذلك نزعة من الشيطان وكيد من  
العدو فبكوا وعانق الرجال من الأوس  
والخزرج بعضهم بعضا .

ومن أجل هذه العلاقة الحميمة  
والترابط الوثيق بين اليهود والمنافقين  
وبسبب من هذا التشابه الكبير بينهم  
في الأساليب التي يكيدون بها للإسلام  
وأهله وفي الطرق التي يتبعونها  
لبذر الفساد والشقاق وزرع الفتن  
والقتال فإن القرآن الحريم حينما  
يتحدث عن المنافقين يوضح لنا هذه  
العلاقة بينهم وبين اليهود ويصفها  
( بالآخرة ) قال تعالى : ( ألم تر إلى  
الذين يقولون لأخوانهم الذين كفروا  
من أهل الكتاب ( ١٠٠ ) ) ( ١٩ ) وامتدادا  
لهذه الأخوة في الدنيا فهم أخوة في  
المصير الأبدى ( إن الله جامع  
المنافقين والكافرين في جهنم  
جميعا ) ( ٢٠ ) .

- (١٠) النساء ١٤٥ .
- (١١) النساء ١٤٠ .
- (١٢) سئري صورا للتفاق في الحرب في حلقة  
قادمة .
- (١٣) و (١٤) التفاف والمنافقون ١١ و ١٢ .
- (١٥) في النفس والمجتمع لمحمد قطب  
١٠٤ و ١٠٥ .
- (١٦) في ظلال القرآن م ١ ج ٢٧/١ و ٢٨ .
- (١٧) التفاف والمنافقون ٧٦ .
- (١٨) آل عمران ٧٢ .
- (١٩) العنشر ١١
- (٢٠) النساء ١٤١ .

- (١) المفسرة ١٢
- (٢) المصنف ٨
- (٣) راجع القاموس ومفاتيح الصحاح والمصباح  
المفهر ( مادة نفق ) .
- (٤) الزرقاني ج ١/٣٥٦ .
- (٥) التفاف والمنافقون لإبراهيم علي سالم  
ص ٢
- (٦) نفس المصدر ص ٤
- (٧) صفات المنافقين لابن القيم ١٥
- (٨) تفسير الفخر الرازي وشرح المعنى على  
البخاري ج ١/٢١٧ .
- (٩) المنافقون ٣ .



## كتاب الشهر

# أبو حيان النويري

### عرض وتحليل الدكتور : يوسف نوفل

التربية وعلم الاجتماع التي لم يعرض لها الدارسون من قبل ، كما درس أدبه النثري والشعري ، وكتابه عن الطبري الذي شمل دراسة لعصره ، وبيئته ، وحياته ، ومصادر ثقافته ، وأوانها ، وعرض لتلاميذه ، ومؤلفاته ، ودراسة لشخصيته ، ولماجه في التفسير والتاريخ والفقه ، وكتابه عن الجاحظ الذي قدم فيه دراسة لعصره ، وحياته ، وعالم شخصيته ، ومؤلفاته وخصائصه الفنية ، مع تحليل بعض كتبه .

والى جانب دراساته عن اعلام التراث هناك العديد من جولاته الفنية حول القيم والمعاني المبثوثة في تراثنا القديم ، مثل : الفكاهة في الادب ، والبطولة والبطل ، وسباحة الاسلام ،

ما تزال الندرة تكثف جنبات تراثنا المشرق ، وما يزال رجال هذا التراث واعلامه يتوارون خلف غلالات التجاهل والنسيان على الرغم من روعة الدور الذي قام به هؤلاء الاعلام وعلى الرغم من أهمية ما يلقيه التراث من اشعة تترامى الينا عبر مسافات السنين وتناثي العصور .

وقليل أولئك الباحثون الأغذاذ الذين أعطوا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم الكثير لهذا التراث القابع خلف تراكم الزمن ، وللعلام الراقدين تحت جبال النسيان ، واستاذنا الاستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفي واحد من هؤلاء ، فقد قدم لنا من قبل دراسات عديدة طيبة عن اعلام التراث مثل كتابه عن ابن خلدون حيث عرض آراءه فسي

وأدب السياسة في العصر الأموي ،  
والغزل في العصر الجاهلي ، والمرأة  
في الشعر الجاهلي ، والمثل السائر  
لابن الأثير ( تقديم وتحقيق وتعليق )  
وفن الخطابة وغير ذلك من مجالات  
البحث .

•••••

ونحن اليوم أمام دراسة جادة  
لباحثنا الكبير حول أبي حيان  
التوحيدى ، وقد يحسن أن نلتقى  
بشيء مما جاء بمقنبه الكتاب :  
( اللهم لك الحمد ، وبك الاستعانة  
ومنك التوفيق ، وبعد :

فهذا كاتب قدير ممن زاجوا بين  
العبارة الناصعة واللغة البارعنة  
والفكرة الثرية ، وممن خلفوا للأعقاب  
ينبؤوا ثرا من المعرفة ما زالوا  
يرتشفون من سلساله ويرتوون .

اتصلت به عن بعد حينما قرأت  
على عجل موضوعات من كتابه  
( المقابسات ) ، وموضوعات أخرى  
من كتابه ( الهوامل والشوامل ) ولكن  
هذا الاتصال العاجل أوحى الى بالكبار  
عليه والاعجاب بفنه .

ثم اتصلت به عن قرب قريب ،  
وعشت معه مدة من الزمن ، حينما  
شرعت اكتب هذه الدراسة ، فمعظم  
أكبارى لعلمه وأعجبنى بفنه ،  
وأيقنت أن الرجل مغبون القدر ،  
مهضوم المكناة ، وأيقنت أنه أجندر  
بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة  
اللفظية ، الذين ذاعت شهرتهم في  
حياتهم وبعد مماتهم ، وما زالوا  
يدرسون الى اليوم على أنهم زعماء  
بدراسة أو أصحاب طريقة في الكتابة  
كأبن العميد ، وأبن عباد ، والقاضى  
الفاضل ولسان الدين بن الخطيب .

والحق أن أبا حيان يفضل هؤلاء  
جميعا ، ويفضل أضرابهم من كتاب  
الزخرف والزينة كبديع الزمان ،  
والحريري ، والقاضى الفاضل .

نعم يفضلهم بمسدة مزايى ،  
ساعرض لها حين أوازن بينه وبين

كتاب عصره ، وحسبه أنه كاتب يحفل  
بالفكرة والعبارة معا ، وأنه يستلهم  
مشاعره وعواطفه ، كما يعتمد على  
التأنق والافتنان وأنه قد جال بقلمه  
في ميدان العلم والمعرفة ، فطوع  
النثر للترجمة عن الثقافة في تعبير من  
الأدب الرفيع ، وبهذا أكمل ما فعله  
الجاحظ من قبل ) .

وقد يحسن بعد هذا الجزء من  
المقدمة أن نلتقى بنظرة عامة حول  
خطوات هذا البحث ومجالاته .

يبدأ الفصل الأول وعنوانه :  
أعاصير السياسة ، بتعريف بالخلافة  
والخلفاء والظروف السائدة آنذاك ،  
وما نشب من اختلاف وصراع ، ثم  
ما جد على الدولة من توسع .

أما الفصل الثانى ، وعنوانه :  
تيارات ثقافية ، فيعرض لاستمرار  
النشاط العلمى والأدبى وقوته ،  
ويذكر أمثلة من تشجيع الدويلات  
للعلم والأدب ، وحركة الترجمة من  
اللغات الأجنبية ، واتصال أبى حيان  
بكثير من الترجمة ، وازدهار مراكز  
الثقافة والأدب ، وكثرة العلماء  
والأدباء ، ومتابعة ظواهر جديدة في  
النشاط العلمى والأدبى ، ونضج  
العلوم وكثرة المكتبات ، واتخاذ اللغة  
العربية واللغة الرسمية والأدبية ،  
وتنافس المدن والعواصم ، الجديدة  
التي أصبحت مراكز للثقافة .

أما الفصل الثالث ، وعنوانه ،  
معالم حياته ، فيتناول بوعى وإحاطة  
تعريفا وأفيا بأبى حيان : أسمه  
وكنيته ، ومولده ، ووفاته ، وأصله ،  
وترجيح عروبة أصله ، وحرفته .

أما الفصل الرابع ، وعنوانه :  
ثقافته ، فيحيط بذكاء بثقافة عصره ،  
وينابيع ثقافته ، وأبرز ألوانها من :  
فلسفة ، وفقه ، وحديث ، ولغة ،  
وعلم الكلام ، والأدب .

أما الفصل الخامس ، وعنوانه في  
قصور الخلفاء ، فيتناول الحياة  
الأدبية من خلال اتصال الأدباء



بالخلفاء ، ويبرز هنا ابن العميد ،  
وابن سعدان .

أما الفصل السادس فهو عن معالم  
شخصية أبي حيان ببيان آثار عصره  
فيه ، وشغفه بالمعرفة ومظاهر  
شغفه ، واعتداده بعمله ، وبواعث  
هذا الاعتداد ، وطوجه إلى التقدير  
وبواعثه وتطلعه إلى ما نسيه اليوم  
منحة التفرغ ، ومظاهر طموحه ،  
ومصراحته ، وبواعثها ، والرد على  
اتهامه بالتجنى في الثلب والتجريح ،  
وأمانته في ذكر المحاسن والمساوي  
وحسن ظنه بالناس ، وأخلاقه ،  
وشكواه ، وتدينه ، والشهادة بسلامة  
مقيدته ، والرد على اتهامه بالزندقة ،  
وتصوفه ، ومظاهر هذا التصوف ،  
ونوع تصوفه ، والفرق بينه وبين  
التصوفة ، ووجوه الاتفاق بينه  
وبينهم ، وأمانته في الرواية وبواعثها ،  
ومظاهرها ، كما يناقش باحثنا الكبير  
- في هذا الفصل - اتهام أبي حيان  
بالوضع ومصدر هذا الاتهام والباعث  
عليه وأدلة ابن أبي الحديد في نسبتها  
إلى أبي حيان ومناقشة آراء كل من :  
محمد كرد علي ، والدكتور عبد  
الرزاق محيي الدين ، والنويسري ،  
ويخلص باحثنا الفاضل إلى أن  
الرسالة قد وضعها أبو حامد المروزي  
أو أبو حيان ، ثم يقيم الأدلة على  
تبرئة ساحة أبي حيان ، ويمضي مع  
أبي حيان حتى يصل إلى أحراق  
كتبه ، وخلاصة دفاعه عن مؤلفاته .

أما الفصل السابع ومفواته :  
أضواء على مؤلفاته ، فيعرض لمؤلفاته  
بالعرض الواعي والتحليل العميق  
مثل :

المغاسبات ، والهوامل والشوامل ،  
والإمتاع والمؤانسة ، والصدائفة  
والصدق ، وأخلاق الوزيرين  
والبصائر والذخائر ، والمحاضرات ،  
وتقريب الجاحظ ، ورسالة العلوم ،  
والزلفة ، والإشارات الإلهية .

أما الفصل الثامن فيعرض  
لخصائصه الفكرية والفنية .

أما الفصل التاسع فيعرض لكثافة  
أبي حيان بين كتاب عصره .  
ثم يأتي الفصل العاشر ليعتد  
موازنة بينه وبين الجاحظ .

.. ..

والكتاب يعتمد على ثلاثة وسبعين  
مصدرا ومرجعا كلها من عيون الفكر  
والأدب والثقافة الإسلامية ، وهي  
عيون نجد أنفسنا في أمس الحاجة  
إلى الالتقاء بها والنيل من ينابيعها  
الثرة وعطائها العظيم ، غير أن  
الجدير بالالتفات هنا ليس ما تحتويه  
المراجع والمصادر فحسب ، فكثير من  
النقول قد يصنع مؤلفات ضخمة ،  
وانما الخطير في الأمر ما يكن وراء  
الرجوع إلى المراجع من فطنة وكفاءة  
واحاطة شمول ، ومعرفة ودراية ،  
وأخلاص وصدق ، وتلك أمور أربعة  
لا يستقيم بدونها منهج فكري ، أو  
مبحث أدبي ، فبالفطنة والكفاءة تتولد  
لدى الباحث يقظة للأهم وتنبيهه  
للضحايا ويتبع ذلك حسن معاملة  
هذه القضايا ، وبالإحاطة والشمول  
يلقى الباحث نظرة ( شقر ) تعبر  
المسافات وتحلق في الأزمان ، فتربط  
ما مضى بما هو حاضر ، أما المعرفة  
والدراية فتجنب الباحث الزلل  
والغفلات وتجعله واعيا بمشكلات  
بحثه وقضاياها مقدما ما يستحق  
التقديم مؤخر ما يستوجب  
التأخير ، ثم يجمع ذلك كله وماء  
خطير هو وعاء الأخلاص والصدق ،  
فالباحث أمر شاق وعسير لا يأتي  
إلا لمن يتجرد له بمواهب وقدرات  
محاطة بقدرة على التحمل ، وصبر  
وجلد ، وصدق في المعاناة وتحمص  
شخصية البحث والتجرد من الزمان  
والمكان الخاصين بالمؤلف وإحلال  
البحث محلا كريما في نفسه يجعله  
قطعة من نفسه على نحو ما يفعل

الصومى أو العاشق . وكل هذه الامور قد اجتمعت لدى باحثنا فانثرت هذا البحث الجاد .  
تضاييا ومشكلات :

ونجد انفسنا ازاء بعض القضايا التى تستأثر بالاهتمام وتنتزع ثأرتها ليخلص اليها ويقف عندها متأملا فاحصا مستوعبا ، وخاصة اذا كانت هذه القضية مما يتصل من قريب أو بعيد . بمبادئ ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحة .

اتهامه بالزندقة :

« هذا الرجل الذى لم يجد من رفاهية الحياة ما يلائم علمه وادبه ، ولم يلق من رعاية الوزراء والأمراء فى عصره بعض ما لقى من هم اقل منه علما وادبا ، فعضى حياته يائسا نائبا هذا الرجل قد اتهم فى عقيدته ، وهى تهمة اشد ايلاما من اليأس ، وأقسى نكالا من الفقر ، لانها تبغضه الى الخاصة والى العامة ، وتلقى على انتاجه غبارا كثيفا من الشك ، وتكاد تطوح بكمائته الأدبية والعلمية فى عصر لم يكن يحتمل من الزندقة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وان كان بريئا .

وربما كان أول من اتهمه بالزندقة الكاتب المغوى الأديب ابن فارس ( المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ) فى كتابه الفريدة والخريدة ، فقد نقل عنه قوله : كان أبو حيان قليل الدين والورع من القذف والمجاهرة بالبهتان . الخ . ثم جاء ابن الجوزى ( المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ) فقال : « زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى ، وأبو العلاء المعمرى وشهرهم على الاسلام أبو حيان ، لانهما صرحا وهو مجمع ولم يصرح » ثم ردد الذهبى هذه التهمة ، وجرت دائرة المعارف على انه نفى لزندقته ، قال مرجليوث : ( نفاه المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م ) من بغداد . . لزندقته ( ووافقهم محمد كرد على ،

ولكن علماء آخرين شهدوا له بسلامة العقيدة وصحة الدين فهو على رأى ياقوت صومى السميت والهيئة ، متعبد ، والناس على ثقة من دينه ، وابن النجار يصفه بأنه كان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة ، ودافع عنه السبكى وأرجع حملة الذهبسى عليه الى محكائته لما قاله ابن فارس ، والى ما قاله ابن الجوزى والى امر ثالث هو بغضه الشديد للبتصوفة . وقد ذهب باحثنا الثقة الى تبرئة ساحة أبى حيان وقال :

( ومن الميسور أن ابطل هذه التهمة الجائرة بعدة ردود :

١ - المفهوم من كلام ابن فارس أن صاحب بن عباد طلبه ليقتله ففر منه ، ثم تعقبه الوزير المهلبى فاستتر منه حتى مات فى الاستتار ، وهذا كلام تموزه الصحة ، لأن أبى حيان ، كما تبين فى صلته بابن عباد تركه سنة ٣٧٠ هـ ، والوزير المهلبى توفى سنة ٣٥٢ هـ ، فكيف يتفق هذا ؟ لقد اتصل أبو حيان بالصاحب ، ثم تركه بعد ثمانية عشر عاما من وفاة الوزير المهلبى الذى قيل إنه تعقبه ليقتله .

٢ - لم يشر أبو حيان - على دقته فى وصف الأشخاص والأحوال ، ولا سيما حالته - الى أن ابن عباد فكر فى قتله وأوعز بحبسه ، ولو أن شيئا من هذا حدث لذكره ، على عادته فى تفصيل الاحداث والتشنيع على ابن عباد ، ووصف ما لقى من حرمان وخيبة فى صلته به .

٣ - يحملنى على الشك فيما زعم ابن فارس من نسبة الزندقة الى أبى حيان ومن نسبة التفكير فى قتله الى ابن عباد أن ابن فارس كان أستاذا لابن عباد قبل أن يلى الوزارة ، وكان صديقا له لما تولاها ، وكان أستاذا لأبى الفتح ابن العميد .

وقد هجا أبو حيان ابن عباد وابن العميد ، فمن المرجح أن ابن فارس أراد أن يشوه سمعته ويثأر منه ،

٧ - إذا وازنا بين أبي حيان وابن الراوندي وأبي العلاء المعري لم نجد تشابها يبيح لابن الجوزي أن يجعله أشد الثلاثة ضررا على الإسلام ، أو يسلكه في عداد المعادين للإسلام .

أما ابن الراوندي فلا جدال في زندقته وكفره ، لأنه زعم أن في كلام أكرم بن صيفي ما هو أحسن من بعض القرآن ، وأدعى أن القرآن غير معجز بأن المسلمين احتجوا لنبوة نبيه -م بالقرآن الذي تحدى به النبي العرب ، فلم يقدروا على معارضته فقال لهم : لو ادعى مدع أن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن مقال : الدليل على صدق بطليموس أن اقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثبتت .

وأما أبو العلاء فقد اتهم بالألحاد لبعض آرائه التي ردها في لزومياته ولما قيل إنه عارض القرآن بكتابه الفصول والغايات على نسق السور والآيات وإن كان مظلوما في اتهامه بالمعارضة لأن كتابه لا يشير إلى ذلك ، وأما أبو حيان فليس في كلامه ما ينبئ عن زندقة أو الحاد .

٨ - بل إن في كلام أبي حيان ما ينقض دعوى خصومه نقضا لا يبقى ولا يذر ، فقد كان ينفار على الدين منذ حداثة .

٩ - وفي سلوكه ما يكفي لنقض هذا الاتهام ، لأنه كان يصلي بالمسجد ، ويشكو أنه لا يرى بجواره إلا قسبا أو نادبا . . وقد حج سنة ٣٥٤ هـ ، ولأنه كان متصوفا طول حياته ، ثم منقطع للتصوف في أخريات حياته ، إذ قضى سنواته الأخيرة بين الصوفية ، وانطبع بطابعهم ، ومات بينهم ، ودفن بجوار علم من اعلامهم .

ولم يكن تدنيه لبعضه على معاصريه ولهذا يقول ياقوت : إنه كان يتأله والناس على ثقة من دينه .

فالصق به تهمة الزندقة وأراد أن ينسب إلى ابن عباد الغيرة على الدين ، فزعم أنه هم بقتل أبي حيان ولكنه هرب منه .

٤ - كان ابن فارس معاصرا لأبي حيان ، وقد ضمه أبو حيان ضما شفيها ، وتنصه في مجلس ابن سعدان بقوله : أنه شفيخ فيه محاسن ومساوىء ، ألا أن الرجحان لما يذم به ، لا لما يحمده عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصوف ، وهناك أيضا قسط من العلم بأوائل الهندسة وتشبيه بأصحاب البلاغة ، ألا أن هذا كله مردود بالرمونة والمكر والإيهام والخسة والكذب والغيبة .

٥ - ابن فارس الذي يسند إليه اتهام أبي حيان بالزندقة والموت في الاستتار قد مات قبل أبي حيان ، وسواء أكانت وفاة ابن فارس سنة ٣٦٠ هـ أو ٣٦٩ هـ أو ٣٧٥ هـ أو ٣٩٠ هـ أو ٣٩٥ هـ ، فانها كانت قبل وفاة أبي حيان .

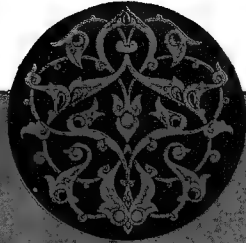
كيف يقرر وفاة شخص آخر لم يمت بعد .

وأذا أراد أحد أن يأخذ بشق رأيه وهو الاتهام بالزندقة ، وذهب إلى أن الشق الثاني مدخول عليه فإن اتهامه بالتحيز لابن عباد وابن العميد ما زال قائما يقدح في طعنه أما حيان ، وموت الوزير المهلب قبل أبي حيان يقطع ببطلان تعمقه لبقته .

على أن لا أستبعد أن يكون خصوم أبي حيان هم الذين فعلوا ذلك ، ولكنهم أسندوه لابن فارس ليزيدوه تبولا وتشبيها في نفوس سامعيه .

٦ - ابن الجوزي - كما ذكر السبكي - متعصب على الصوفية ، مبغض لهم ، لهذا زاد من عنده قوله : ( وأشداهم على الإسلام أبو حيان ) .

# واذا.. فما



## من التخلف

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي

والانسان يخطو في سلوكه العلمي والمعاشي معتمدا على التاريخ الماضي وتصورات المستقبل . وكلاهما خارج عن سلطان الحس مغموس في ظلمات الغيب . والذي يريد أن يستعلي في سلوكه عن وحى كل منهما ، لا يستطيع أن يستفيد من عقله ثروى فقير ، ولا يملك الا أن يسجل اسمه ، بكل فخر ، في ديوان المجانين . وأمرت هذا الحديث أيضا في مقال .

واذا ، فلنمد الى صلب الموضوع ولنتساءل : فما هو سر تخلفنا اذا ؟

هنالك فئة من الباحثين ، يوفرون لنا أنفسهم عناة التفكير في هذا

عقبت على كاتب جاء يقول : ان من أهم أسباب التخلف وضعف الانتاج عندنا ، الاعتقادات الغيبية واحالة الامور الى الله والتواكل الذي يتولد من ذلك . فقلت أولا :

ان أصحاب الاعتقادات الغيبية والمتبصرين — حقا — بسلطان الله في الكون ، هم اليوم بعيدون عن الطريق .. وليس بيدهم ما يضيئون به سبيلا على أحد ، أو يعمقون به تقدم أى مخلص للأمة والوطن .. وأمرت هذا الحديث في مقال .

وقلت ثانيا : ان الغيبيين حقا هم الجاحدون بغيبيات الاسلام .. وليس كل ما قد غاب عن الحس وسلطانه مقضيا عليه بالوهم أو المسمم .

# هو السرفيما نعانيه

## وضعف الانتاج..؟

بدءا من الانسان الى اصغر مظهر من مظاهر الطاقة . فلا بد ان ينعكس على الثرة سلطان القانون الذي يخضع له المثر .

وربما ادخل بعض هؤلاء الباحثين اسم ابن خلدون في قائمة اصحاب هذا الرأي . وربما استدلوا على ذلك ببعض ما قد جاء في مقدمته ، مما يشبه ان يكون تقريراً لهذا الرأي . .

والحقيقة ان ابن خلدون ، وان يكن شبه الحضارات باعمار الناس ، ولكن لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب اعمار الناس ، بل اسند كلا من نشأتها وقوتها وضعفها الى اسباب داخلية في اختيار الناس وخاضعة لما من شأنهم ان يملكوه من طاقة وجهد . فهو

البحث ، عندما يطيب لهم ان يتبنوا الرأي القائل بأن للحضارات اعماراً كعمر الانسان ، فهي تنشأ في ضعف ، ثم تمسير الى قوة ، ثم تعود الى ضعف ، ثم تنتهي بموت . . وهي لا بد ان تنتقل في هذه المراحل ، ثم ان تلقى حتفها أخيراً ، مهما احيطت به من رعاية وحفظ . كالانسان ذاته ، لا بد ان يسير في مثل هذه المراحل ذاتها مهما حذر وحاول ، بل كأي شيء مادي دخل تحت سلطان هذا الوجود ، لا بد ان تجده مهوراً بطابع هذا القانون : ضعف ، لقوة ، نضعف ، بموت . . ا

وهم يعللون ادخالهم للحضارة في هذا الشمول ، بأن الحضارة ليست الا ثمرة جهود متناسقة بذلتها الموجودات الخاضعة لهذا الحكم ،

الانتاج ، عندها ، يعود الى أسباب ،  
سأحدث عنها بالقدر الذى يسمح به  
المجال . . فلا جرم أتى سأختصر  
الكلام فى بعضها رغم أهميته ورغم  
الحاجة الماسة الى الإماتة فيه .  
ولكنى أترك لذهن القارئ الحصيف  
أن يفهم تفصيل ما أختصره ويقف  
على شرح ما أوجزه . وهذه الأسباب  
ما أظن أنها تزيد على الأمور التالية :

### أولاً - فقد الاستقرار الفكرى والنفسى :

وهذا السبب ينشأ بدوره عن  
الوان شتى من الاضطرابات ، كلها  
مؤفورة فى مجتمعنا بحمد الله ، وهو  
الاله العادل الذى لا يحمد على مكروه  
سواه .

ان من هذه الالوان ، الاضطرابات  
فى مهم القيم والمعتقدات ، ونشوء  
الصراعات المختلفة حولها . . فى كل  
الامكن والمجالات ، بدءاً من مدارس  
الأطفال ، الى مجالس الشورى  
ومؤسسات التشريع والتقنين . .  
ومن هذه الالوان الاضطرابات  
السياسية الناشئة عن عوامل  
خارجية كالعمدوان او الاحتلال الاجنبى  
لبقاع من البلاد العربية والإسلامية ،  
وما يتبع ذلك من استنزاف الفكر  
والقوى ، وتبديد الطاقات المختلفة  
على جبهات شتى .

ومن هذه الالوان اضطرابات  
الحكم الناشئة عن قلاقل داخلية أو  
خارجية . . يطول الحديث عن تحليل  
أسبابها والكشف عن خفاياها ، ومن

ليس من هذا الراى واصحابه فى  
شئ .

والحقيقة أيضاً أن التعليل الذى  
يعتمدونه لذلك ، تعليل باطل ، وان  
جاء فى مظهره الشكلى منطقياً  
سليماً .

ذلك لأن الوجود الذى يتصف به  
جنس الإنسان والمكونات ينقسم الى  
قسمين :

وجود مردى ، يتمثل فى  
الشخصات الجزئية ، فهذا هو الذى  
يخضع لقانون الولادة والنفاء  
وما بينهما من مراحل قوة وضعف .  
ووجود نوعى ، يتمثل فى الماهيات  
المتنقلة ضمن سلسلة الشخصيات  
المستترة . وهذا لا يخضع  
للقانون المذكور ولا شأن له به ، فان  
الوجود النوعى للقوة مستمر متصل ،  
وان تنقل ضمن حلقات متغيرة فى  
سلسلة الموجودات الفردية أو  
الجزئية . وانما يتم النسبج الحضارى  
لأمة ما بقوة من هذا الوجود الثانى ،  
لا بحراسة قصيرة من الوجود الجزئى  
الأول .

واذا ، فالحق الذى لا مناص منه ،  
هو أن نجهد الفكر فى البحث عن  
أسباب هذا التخلف الذى نعانىه ،  
فان لذلك أسباباً عائدة الى تقصيرنا .  
وان للتغلب عليها وسائل خاضعة  
لجهودنا وإمكاناتنا . وما الشيخوخة  
التي انتهت إليها حضارتنا اليوم  
الآثرة حكم اختيارى تسببنا له بملء  
اختيارنا وحريتنا .



ان ما يسمونه " بالتخلف " أو ضعف

مظاهر قوة الطرف الواحد — فى مثل هذا الصدد — أن يتلاقى على سعيد من التفاهم والتوافق مع الأطراف الأخرى . وأخطر بادرة لضعفه وخيبة مساعيه أن يتسوق سعيه ونشاطه الإصلاحى ضمن واقع الخاص به وجانبه الذى لا يشركه فيه غيره .

أن فئة ما من أفراد الأمة تستطيع بقوتها أن تحطم دولة وتقهّر شعباً وتسيطر على حكم، ولكنها لا تستطيع أبداً أن تخلق بقوتها هذه تقدماً وازدهاراً وانعتاقاً من أسباب التخلف والضعف . ذلك لأن بين طبعة الأميين فرقاً كبيراً :

الأمر الأول منهما لا يعتمد إلا ما لدى تلك الفئة من عزيمة وقوة ودقة تخطيط .

أما الأمر الثانى فأنما ينهض على استخراج أسباب القوة ومقومات التقدم من جميع فئات الشعب وأفراده ، ثم ضمّ أفرادها جميعاً فى سبيل الرقى والانطلاق . أن الأمر الأول ليس أكثر من لكمة تسدد إلى هدف ، وأنهما يكفى من أجلها يد واحدة ، أما الأمر الثانى فأنما هو كالتصفيق لا ينبعث صوته إلا باجتماع الكفين والتقاءهما — فى خيرة وحرية تامة — على القيام بعمل واحد .

ولتأمل فى مثال واحد ، من أمثلة المشاريع التى تستهدف التقدم والازدهار . أنه مثال العمل على التنمية الاقتصادية .

أهم نتائجها انصراف الحكام — فى أكثر الأحيان — إلى بذل أكبر قدر من الفكر والجهد ، لتغذية الحذر من شعوبهم ، وتشديد الرقابة على أحوالهم وأوضاعهم وأوجه نشاطاتهم .

أن من البداة بكان ، أن هذه الاضطرابات — وهى نماذج للألوان كثيرة أخرى — من شأنها أن تعصف بالاستقرار الفكرى والنفسى فى كيان الأمة ، وأن تجعلها عاجزة عن أن تتفرغ للنظر فى أى مشاركة حضارية أو نهضة علمية أو للمكوف على أى عمل انتاجى دائم .

**ثانياً — فقد الثقة بين قطاعات الأمة عامة ، وبين الحاكم والمحكومين خاصة :**

وقبل أن أشرح لك هذا السبب الثانى ، يجب أن أذكرك بأن الدخول فى أى مشروع انتاجى مهما كان نوعه ، إنما يعتمد قبل كل شيء على رصيد من التفاعل والتعاون ، ولا يمكن لشئ من ذلك أن يولد بجهود جانب واحد . وإنما اعنى بالتفاعل والتعاون ذلك القدر الشامل الذى يغطى رقعة الأمة كلها ، فلا قيمة لتعاون ينهض به أفراد طرف واحد ، مهما كثرت الأفراد ، ومهما تنوعت اختصاصاتهم ، ومهما انبسط سلطانهم .

أى أن اتصافهم بكونهم طرفاً أو فئة ، يفسد كل قيمة ذاتية لكثرتهم وقوتهم . ذلك لأن أول مظهر من

ومن أين تأتي الثقة .. ؟  
تأتي الثقة من مصدرين اثنين لا  
يغنى أحدهما عن الآخر ..

**المصدر الأول :** يقين الأمة باخلاص  
أولئك الذين يتحرّتون في الحديث عن  
التخلف والتنمية وأسبابها .. ولا  
مجال للاطالة في هذا المصدر الأول ،  
فلأترك التفصيل والشرح لحصافة  
القارئ الكريم ، كما قلت .

**المصدر الثاني :** التلاقي على  
مبادئ متفق عليها لمعالجة التخلف  
على أساسها ، ولاقتباس خطة التنمية  
ونسبيل التقدم منها . فإذا لم يجتمع  
السواد الأعظم من الأمة ، حكما  
ومحكومين ، على مبادئ متفق  
عليها ، فإن الدعوة إلى التعاون في  
سبيل وضع خطة للتنمية لا تلقى  
استجابة كافية ، لأن الثقة بهذه  
الدعوة معدومة ، أو هي من القلة  
والضعف في حكم المعدومة . واليك  
المثال :

السواد الأعظم من هذه الأمة لا  
يرى للازدهار الاقتصادي وسيلة  
خيرا من تلك التي تعتمد على النظام  
الاسلامي في شؤون المال  
والاقتصاد . فإذا قام من يضع خطة  
للتنمية الاقتصادية على هذا  
الاساس ، واستثم الناس صدقه  
واخلاصه ، أحقق به الناس من كل  
صوب ومدوا إليه يد التعاون بأشكاله  
المختلفة ، وقدموا له رؤوس أموالهم  
في قبضة وسرور ، وازدهر من ذلك  
تعاون مثمر بناء .

ان ( التنمية الاقتصادية ) كلمة  
ارتفع لوازها في أكثر البلاد العربية  
مئذ مسنوات طويلة ، ولقد فاضت  
بالحديث عنها الاذاعات ، وامتلات  
برسم حروفها الصحف والمجلات ،  
وفلسف الناس عنها في مناسبات من  
المحاضرات والندوات . ثم وضعت  
لتنفيذها الوسائل والمخططات ..  
وتأتى اليوم بعد ذلك كله تبعث العين  
بحضا وراء نتيجة ذلك الغليان كله ،  
فتسبح جمجمة ولا ترى طحنا !

لماذا .. ؟ لأن الذين رفعوا لواء  
هذه التنمية وراحوا يهدرون بالحديث  
عنها ، انما انطلقوا في ذلك من خطة  
انفردوا عن سواد الناس في الايمان  
بها والاعتماد عليها ، فلم يقفوا — في  
سميهم هذا — على أي أرضية من  
التعاون مع الآخرين . فبقيت أسباب  
التنمية ووسائلها وأدواتها مبعثرة في  
أيدي سواد الأمة ودهمائها على  
اختلاف طبقاتها ، وبقي في أيدي  
أولئك الهائجين مجرد أوراق مكتوبة  
ومشاريع مخطوطة .

سيقول قائل : ولكن ما الذي يمنع  
سواد الأمة من التعاون .. ؟ ان  
العيب فمين يدعى ثم لا يستجيب ،  
وليس العيب فمين دعى فلم يستجيبوا  
له .

والجواب أن الذي يصعد عن  
التعاون انما هو فقد الثقة . والثقة  
قاعدة أساسية لا بد منها بين يدي  
الاتلاق إلى أي عمل أصلاحي  
لا سيما ان كان يستهدف ثمرة  
اقتصادية عامة .



ولكنه في الجملة يعتبر من أخطر أسباب التخلف ، أيا كان نوعه ، في بلادنا العربية .

وينبع هذا السبب من ظاهرة أشد خطورة وضرا ، وهي اتخاذ المذهب السياسي ( الذي قد يعبر عنه بشعارات وألفاظ عدة ) غاية مقدسة برأسها ، لا سبيلا إلى تحقيق بعض مظاهر الخير للمجتمع . إن أعظم كسب تقدمي ، إنما يتمثل ( في ) فلسفة من تعيش لديهم هذه الظاهرة ) ، في انتصار هذا المذهب بحد ذاته ! .. ومهما عظمت التضحيات وتلاخقت النكبات ، فإن في بقاء هذا المذهب سليبا ، ما يهون شأن ذلك كله .

إن خطة التنمية الاقتصادية ، وبرامج التقدم العلمي ، ومقومات التوسع الصناعي ، كل ذلك ما ينبغي أن يأتي — في فلسفة أصحاب هذه الظاهرة — إلا في دور الجندی المحافظ على وجود ذلك المذهب السياسي وسلامته .. !

وإذا ، فإن تبقى الكفادات العلمية المختلفة — وما أكثرها في بلادنا — عندها تفضل أن تكون متحررة عن سلطان أي تبعية مذهبية أو سياسية ؟ .. أنها تعيش مترامية فوق بعضها في أركان قصية جدا على هامش بعيد من الدنيا التي كان ينبغي أن توجد فيها .. ومن هم الذين يحلون أماكنهم من قيادة الحركة العلمية والنشاط الاقتصادي في المجتمع .. ؟ إنهم أصحاب تلك

أما إذا قام من يروج لبدأ مستورد ( أيا كان ) يزعم أنه يبنى عليه منهاجا اقتصاديا رائعا ، فإنه مهما روج لما يقول ، ومهما جادل عن مبدئه بالأدلة والبراهين ، ومهما استخرج أموال الناس من جيوبهم ، أو من تحت « البلاط » في بيوتهم ، فإنه لن ينجح في العثور على أي استجابة مفيدة منهم . ذلك لأنهم لا يفتشون بالبدأ ، ومن ثم فهم لا يتقنون بالداعي إليه ، ومن ثم فهم لا يتقنون أيضا بالتقدم الاقتصادي المستند إليه .

ومرة أخرى أذكر القارئ بتجربة بنوك الادخار في ميت غمر ، لقد كان رأس مال هذا المشروع قبل كل شيء الاستحواذ على الثقة .. ثقة الناس بانه مشروع قام ليخدم مصالح الناس على سبيل من مرضاة الله ، ولم يتم ليسبقه رؤوس أموالهم ويربح من وراء ظهورهم ، وأنه ليس إلا تحقيقا لمنهج القرآن في محق الربا وتربية الخيرات والأموال لأصحابها ..

عندئذ ظهرت الأموال الحبيسة ، وتقدمت الأيدي المتعاونة ، ودار دواب العمل ، وسعى سعيه الحثيث العجيب ، وأنتج نتائجه المعروفة لكل باحث ومهتم بحقائق الأمور .

### ثالثا — اعتماد الهويات والتبعيات السياسية بدلا من الكفادات العلمية :

وهذا السبب يتفاوت في الشدة والضعف ما بين مجتمع وآخر .

## رابعاً - عدم ضرر المسارف وأصول الثقافة كلها لمحاربة التخلف :

يظن الكثير ممن يثورون على التخلف وأسبابه ، ويخططون للتقدم بأنواعه ، أن مفتاح التقدم العلمى والرقى الاقتصادى كامن فى الوسائل العلمية ، والتنظيمات والتخيليات المباشرة . ولا يتصورون أن للمعارف والأخلاق الانسانية وأصول الثقافة أى دور فى الموضوع .

فأنت ترى أن اهتمام هؤلاء الكثيرين منصرف الى الحديث عن التقنية وما يسمونه بالمناهج العلمية فى الاقتصاد وعملية الانتاج .. وربما توهموا أن الكثير من العلوم والمعارف الأخرى أن هو الا تفاهات نظرية تقصى الامة عن مجال العلم والانتاج .. !

هذه النظرة تنطوى على سذاجة بالغة فى تصور طبيعة الحياة ، وعلاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وعلاقتها جميعاً بحوافز الجهد والنشاط العلمى .

ليست قواعد التكنولوجيا وأصول الاقتصاد ، هى التى تخلق فى الامة سميها العلمى ودأبها على التطوير الاقتصادى ، بل هى ليست أكثر من سلم موضوع فى عرض الطريق . وإنما الذى يوجد حوافز الصمود عليه ويخلق فى النفس رغبة استغلاله فى الوصول الى الهدف ، انها هو حصيلة المعارف الانسانية مضمومة الى الثقافة القومية ، أى ثقافة تلك الامة المتمثلة فى لغتها وآدابها وتاريخها وأعرافها .

الهويات والتبعيات السياسية .. ! وما ضر أنهم ليسوا من الطائفة والكفاءة العلمية فى شىء ما داموا يحملون فى صدورهم ، أو فى جيوبهم ، هذه الهوية .. !  
ولك أن تتصور الضرر المزدوج من وراء هذه الظاهرة :

أولاً : ضرر حرمان المجتمع من أرباب الاختصاص والكفاءات فيه .

ثانياً : ضرر انقياد المجتمع لجهال يخططون به خبط عشواء ، ويدفعونه الى مغامرات وتجارب تستنزف كل عزيز من الطاقة والمال والعمر .. !

الا ان من اعظم جنائيات الظلم أن يقول قائل : ان هذا الشرق العربى فقير فى العبقارة من الرجال ، والعظماء من أولى العلم ، وأن الغرب أغنى بهم من الشرق .

اجل ، انه لظلم عظيم للحقيقة أن يقول ذلك قائل . فالشرق العربى كان ولا يزال غنياً بالفطاحل من العلماء والعباقرة ، ولكنهم - لسوء طالع هذا الشرق - لم يجدوا يداً مخلصه تمتد اليهم ، ولم يروا أمامهم سبيلاً مفتوحاً لخدمة أوطانهم . كثيرون هم هؤلاء العلماء .. تجددهم منثورين فى الزوايا ، يفكرون فى معضلة المعضلات وأصعب المعادلات : من أين يوفرولاولادهم وذويهم رزقهم الضرورى .. !

— حصرت اهتمامها ، فى سذاجة وبساطة ، فى الأساليب اللامعة المباشرة للقفزات العلمية والصناعية، فجمدت أمام هذه الأسباب دون أن تتقنها ، واكتفت بعبارات الفغلز بها والاطراء لها ، ثم انتهت كما بدأت لم تستقد علما ولم تحقق رقيا .

لقد قامت الثورة الفرنسية ، وهى نموذج للثورات الناجحة فى تاريخ العالم ، فهل تظن أنها حصرت اهتمامها ، بهذا الشكل الساذج ، فى معالم الإصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدود أسبابها المباشرة ؟ . انها لم تنجح الا لأنها نظرت نظرة أصلحية الى الحياة الفكرية والإنسانية ( عندهم ) بكل جذورها وجوانبها وتاريخها وآدابها .

وحسبك لتصور هذا المعنى الذى أقول أن تعلم أن هذه العبارات التالية كانت من أبرز ما ركز عليه البيان الأول لمجلس الثورة الفرنسية .

« أيها المواطنون : ليدفع كلا منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات فى جميع أقطار فرنسا ، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عبود الإقطاع والاستبداد » .

ولا ريب أن كثيرا من الناس ، عندنا ، يعجبون من أن تعنى الثورة الفرنسية فى أول بيان لها بمثل هذه الشؤون التى قد يظنونها تافهة . ولكن السذاجة كل السذاجة فى أن نراها ، وأشباهها ، تافهة ولا نوليها العناية ، ولا نجعل من هذه العناية

فالجاعة التى لا تملك حصيلة كافية من ذلك كله ، لا يمكنها أن تتصور وجه الاستفادة من سلم العلوم والصناعات ، بل لا يمكنها أن تستهدف أى غاية علمية تسيطر على كيانها ورغباتها بالدفع والتحبس .

لا بد لمن يورق فكره لنهضة علمية وتقدم صناعى فى بلده ، أن يبدأ السبيل الى ذلك بتنمية هذه المعارف الإنسانية والثقافية بدءا باللغة وحل مشكلاتها وترقية آدابها وترسيخ جذورها ، الى التاريخ واستخراج صورة حقيقية ( غير مشوهة ) عن علانة الأمة بآصياها وعن تقويم ذلك الماضى دون تبديل ولا تغيير ، الى التشريع والقانون وبسبب موازين العدالة على المجتمع ، الى الاخلاق والتربية وتلمس جذورها الإنسانية البعيدة .

ماذا ما غذيت الأمة بهذه المعارف وانصبغت بها عواطفها ووجداناتها ، تكونت لها من ذلك الرغبات الدافعة والآمال المهيبة . وعندئذ تجد نفسها بسبيل من الاستفادة من المعلوم وتوأمينها .

وما قامت ثورة إنسانية فى تاريخها القريب أو البعيد ، فنجحت فى تحقيق آمالها ، الا لأنها أتجعت بالأهتمام الى جميع شروط النهضة فحفلت بها وأولتها كلها العناية والرعاية الكافية . وما قامت ثورة تستهدف الرقى والإصلاح فآخفت ، الا لأنها — فى أحسن أحوالها إخلاصا

فى تجزؤ قتال . والامة الواعية  
هى التى تعرف كيف تتخذ من خلاصات  
جماعاتها سلبا الى تحييص الفكر  
وسبيلا للاتفاق أخيرا على ما هو  
الاصح والاكمل . أما الامة المتخلفة  
فهى التى تترك الخلافات الناشئة  
فيها لتتحول الى بركان دمار وعلة  
تجزؤ واضمحلال .

فهذا التجزؤ من أهم الاسباب التى  
تكسر أسباب التخلف بشتى أنواعه ،  
وهو تجزؤ يعيش فى حياتنا على  
شتى المستويات ، بدءا من أضيئها  
وهو الاسرة ، الى أوسعها وهو  
الامة العربية .

وموامل هذا التجزؤ عديدة ورهيبة  
.. لا مجال فى هذا الصدد للوقوف  
عندها وتفصيل القول فيها .  
ولكنى أقول ، فى نطاق البحث من  
سبيل مفيد للقضاء على هذا التجزؤ :

ان سبيل ذلك البدء بأضييق  
الدوائر ، وهو الاسرة ، ثم السير  
الى الأوسع فالأوسع ، الى أن  
ينتهى العلاج ويتوج بوحدة الامة  
العربية قاطبة . ولا ريب أن هذه  
المرحلة الأخيرة تسهل المراحل كلها ،  
بل هى تكاد تكون آلية بعد الانتهاء  
من المراحل السابقة .  
أى ان سبيل توحيد الامة العربية ،  
لا يكون الا بالقضاء على أسباب  
التجزؤ فى الاسرة والبلدة والقليم .  
ومن أعجب العجب أن تجد أناسا لا  
يعلمون الى اليوم هذا القانون

اساسا لتحقيق أهم مظاهر التقدم  
والاصلاح .

ولو تأملت واقمنا الذى نعيش  
فيه ، لرأيت الاهمال محيطا بعارفنا  
الانسانية وأصولنا الثقافية ، ولرأيت  
ميسادينها مسرعا لفوضى الاغراض  
والآراء ، ولرأيت انعكاسات الشقاق  
والاضطراب تنفدح منها الى حياتنا  
الاجتماعية دون توقف .

### خامسا - التجزؤ بمختلف مستوياته :

وانصد بذلك ، التجزؤ الذى يبدأ  
فى الاسرة الواحدة ، ثم يتعداها الى  
الحى الصغير ، فالبلدة ، فالقليم ،  
فالامة العربية بمجموعها . وأصغر  
هذه الدوائر سبب للذى بعده ،  
وهكذا ..

ولست أهدف مما أقول الى زعم  
أن الخلاف ما ينبغى أن يوجد ،  
والآراء المتباينة ما ينبغى أن تطرح .  
لا .. فان أى عاقل من الناس لا يزعم  
ذلك ، ولا يحيى الناس ، طالما كانوا  
مجتمعين ، الا فى ظلال من مخض  
الآراء والامكار المتخالفة .

ولكن الخلاف شئ والتجزؤ شئ  
آخر ..

التجزؤ هو النتيجة السيئة  
للخلاف . أما الخلاف بحد ذاته فيمكن  
أن يكون سبيلا الى تحييص مفيد  
ولقاء مثمر ، ويمكن أن يصبح سببا

الطبيعى ، يثورون ويصولون بحثا —  
فى زمهمهم — عن تحقيق الوحدة  
العربية ، فى الوقت الذى يزرعون  
فيه الأرض التى تحت أقدامهم بمزيد  
من أسباب التجزؤ والتمزيق : يبددون  
الطاقات التى تعيش تحت أبصارهم ،  
ثم يبكون عليها ويبحثون عنها على  
طول الصحارى والقفار الفاصلة بين  
الأقاليم .. !!



هذه الأسباب الخمسة ، هى  
وحدها ممكن داء التخلب وضعف  
الانتاج فى بلادنا .  
ولعلك ، أن تأملت ، رأيته أسبابا  
متداخلة ، أى يؤثر بعضها فى تقوية  
بعض .

ومع ذلك فإنها جميعا نتائج فرعية  
لسبب رئيسى خطير ، هو سبب  
الأسباب كلها . ألا وهو انصراف  
المسلمين عن إسلامهم ، ونقضهم  
للبيعة التى كانوا بايعوها ربهم .

هذه حقيقة ثابتة لا جدوى فى  
انكارها ، بل لا سبيل لانكارها ،  
عند من آمن بالله الها واحدا وجودا  
متصفا بكل صفات الربوبية والكمال .  
غير أنها حقيقة خيالية لا جدوى من  
الحل على اليقين بها عند من لم  
يؤمن بعد بهذا الإله . ونقاش ما بين  
هذين الفريقين لا ينتهى إلى شيء .

غير أنى انما أخطب فى هذا  
المقال الموتنين بوجود الله عز وجل ،  
أو المتظاهرين بهذا اليقين على أقل  
تقدير .

إن عمارة هذه الدنيا أمانة ،  
يشرف الله بها عباده المسلمين طالما  
كانوا مسلمين فعلا .. فإذا انحرفوا  
استلب الأمانة منهم واستودعها عند  
غيرهم ، وربما كانوا شرا منهم ،  
لا ضير .. فإن الله لا يوقف عمارة  
الأرض ومسيرة الحياة من أجل عيون  
الذين ارتدوا على أعقابهم وانحرفوا  
عن منهج التشريف والتكريم .. لا بد  
أن تظل الحياة مستمرة وتأنونها  
نافذا ، أن لم يكن زمانها بيد هؤلاء  
كان بيد آخرين .. إلى أن يرث الله  
الأرض ومن عليها .  
واليك نصوص هذا القانون فى  
بيان الفاطر الحكيم :

— « ونريد أن نمن على الذين  
استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة  
ونجعلهم الوارثين » القصص : ٥٠ .  
— « وعد الله الذين آمنوا منكم  
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى  
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم  
وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم  
وليبدلنهم من بعد خولهم أمنا .. »  
النور : ٥٥ .

— « وقال الذين كفروا لرسولهم  
لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن فى  
ملتنا ، فآوحى إليهم ربهم لنهلكن  
الظالمين . ولنسكننكم الأرض من  
بعدهم ، ذلك لمن جاف مقامى وخاف  
وعيد » إبراهيم : ١٣ و ١٤ .

— « إلا تنفروا يعذبكم عذابا  
إليها ، ويستبدل قوما غيركم . ولا  
تضروه شيئا والله على كل شيء  
قدير » التوبة : ٣٩ .

# الاسس والآثار الحضارية في نظرة الإسلام العامة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الإسلام العامة الى الكون والى الانسان  
لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك  
ما ينتج عنها من آثار حضارية .  
لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها  
البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها  
اثرها فى تطور حياة الانسان وحملها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد  
كان من أبرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارسيت للحضارة  
اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية  
تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخیالات المشرعين  
فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ - ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة أسس :  
أولها : أن للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل إلى حد الاضرار  
بمصلحة غيره .  
وثانيها : أنها ايقظت في نفس الإنسان ضميره ، فاصبح له من نفسه  
حارس عليه .

وثالثها : أنها حررتة من كل عبودية لغير الله تعالى .  
أما الأساس الأول وهو أن تترك للإنسان حرية لا تضيق حتى تشل  
حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطفى على مصالح الآخرين ، ففيه حل  
للمشكلة من أبرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد  
بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد أنه إذا أردنا أن نحفظ على  
الإنسان إنسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد أن نتركه حراً ينطلق في تحقيق  
مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الأفراد في تقديم الخير لأنفسهم  
ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الإسلام ونحت أشرافه إلا  
تنافساً خيراً يرفع حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع أن نطبق  
هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة في كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه  
في ميدان الفكر كما نطبقه في ميدان الاقتصاد ، وذلك بأن نترك للأفراد  
أن يفكروا كيف يشاؤون وأن يكتبوا ما يشاؤون على ألا يكون في شيء من  
ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم  
ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيا  
للعالم علماء انذاك كابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم  
علماء الغرب أنهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال  
غرونيوم « ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية لم يضرب الإسلام  
فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى » . .

وأما الأساس الثاني ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالأساس الأول  
أذ قد يجنح بعض الأفراد أو ينفردون ، وتستعبد لهم شهوة الكسب أو شهوة  
الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الحشمة كاختكار القوت ، أو  
يسبقون إليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقاً إلى الشهرة . . فكان لا بد لهؤلاء  
وأولئك من رادع وقيب فكان الأساس الثاني لذلك قائماً على إيجاد ذلك  
الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارساً أميناً أو صمام أمان يحرص المسلم على  
بقائه نقياً طاهراً يقظاً لأن الله سبحانه مطلع عليه وهو الذي يعلم الجهر  
وما يخفى ( ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ) . . وأما إذا  
صدىء هذا الضمير أو قصر في واجبه فإن الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب  
والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المتحرفين ويبعد إلى المجتمع توازنه  
المطلوب .

وأما الأساس الثالث ، وهو تحرير الإنسان من عبودية الإنسان  
كان وابطه مباشرة بالله الخالق القوي ، فقد كان ذا آثار بعيدة في  
الإنسانية من أقربها أنه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك  
تعيشها ، وأوجد فيها سكوناً وطمأنينة أتاحت لها فرصة العمل

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفرع اليه عند الملمات ( ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء التاجع والوحيد لتخلص من القلق والاضطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحى وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك ان تفرا كتاب «دع القلق وابدا الحياة» لدليل كارلنجرى وكتاب «العودة الى الايمان» لموريس كريسون . . فكارلنجرى يقول « ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوى والاستمسك بالدين كخيلا ن يان يقهرا القلق والتوتر العصبى » ويقول الدكتور بريل « ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا . » والحقيقة انه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقت ربه ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، انفجعت بناءة فى ميدان الخير تعمل لنفسها ولجتمها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب مالملة الانسان بربه من اثر فى رمة الخلق وسمو الغاية .

٢ - وفى مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعى اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات او اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل كل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامى ان يكفى نفسه فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل اهل البلد انون ومعنى ذلك ان على المسلمين اليوم ان يسهموا فى كل ميدان من صناعة العمال الى انتاج الذرة .

ولم يكف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناءؤه الاعباء والمخام ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التى يتفقدنا عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثلا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

٣ - واما فى ميدان الانسانية عامة فكان الاساس السذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لفة ولا لون ولا جنس ، فالتاس جميعا بشعوبهم واممهم ورجالهم ونسائهم . . مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لأول مرة فى تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورتى حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللفة . وكان من اثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ - وفى ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على اساسين : ايمائى



وتجربى • أما الإيماني فخاص بما أخبر به الله تعالى وما تنزل به الوهى ، وليس للمسلم إلا أن يقبل ويسلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه قد تمت الرسالة وانتهى الوهى وختمت النبوات • وأما العلم التجريبي فهو السدى لفت القرآن اليه اذهان الناس وحتم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لقاضعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الإنسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة أسرارہ • وكان من اثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف القابضين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي • وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم فى الطب والفلك والكيمياء • وكان العصر الزاهر الحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء •

ولقد اثبت الاسلام — كما يقول غوستاف لويون — انه من اكثر الديانات ملائمة لاكتشافات العلم • بل أن لويون يصرح بان المناهج العلمية الحديثة محينة للمسلمين وهدم بالفضل الأول فيقول « لم يلبث العرب — وهو يعنى المسلمين — بعد أن كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان أن أدركوا أن التجربة والقرصد خير من أفضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى يكون على العموم أنه أول من أقام التجربة والقرصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليسوم بأن تلك كله من عمل العرب وهدم • • » ويورد لويون آراء عدد من العلماء السخين يؤيدون رايه هذا ثم يقول « قام منهج العرب على التجربة والقرصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكتبوا أول من أدرك هذا المنهج فى العالم ، وظلوا شاملين به وهدم زمنا طويلا » •

• — وأخيرا ، أرسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلام والسلام من اصل لفوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام أن اتخذ شعارا له فكان أول ما يلكر فى اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهيم ( تحيتهم يوم يلقونه سلام • ) •

والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الإنساني الذى كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدى ، ومنع السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد أنها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فعملها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بالله واحد ، وهو اله يجبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانتهاء الخصومة والاستسلام له أو الاسلام له ( وأنبوا الى ربكم واسلموا له • ) ( ومن أحسن ممن أسلم وجهه الى الله وهو محسن • ) ومتى وجد السلام فى

النفوس والعقل ، ومتى وجد في الارض بين بني البشر فقد وجد الاستقرار ،  
ومتى وجد الاستقرار معد وجدت الحضارة .

٦ - على ان الاسلام لم يترك فكره السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة  
قد تضعف او تعصف بها شهوات النفوس النجاسة وانما دعمها بالقوة  
تحرسها وتسهر على حمايتها ، انه يؤثر السلام ( فان جنحوا للسلام حاجب  
لها ونوكل على الله ) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق  
الحق وينصر له فامر باعداد القوة ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) وامر  
بقتال الفئة الباغية ( فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ) .

وهكذا فقد هيا الاسلام العالم للحضارة اذ اوجد لها ظروفها الملائمة ،  
واية ظروف اجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشري الى  
التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحرصها بالضمير وربطها  
بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين  
السلام ؟؟ واي دليل اصدق على ملائمة هذه الظروف من دليل الواقع الحي  
الذي يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادئ الاسلامية بالنجاح  
الواقعي . وشهد انه بفضلها اخصبت الحياة وازدهرت في ميادين التجارة  
والصناعة والزراعة وال عمران ، ويكفي ان نتذكر ما كانت عليه عواصم  
العالم الاسلامي - يوم سادت تلك المبادئ - من تقدم وما بلغت الحياة  
فيها من رقي ، وما شاد القن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة  
والقاهرة ومبشش وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليسشهد ان تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست  
شيئا يزينه الوهم او يبدعه الخيال كما هو الامر في أكثر الدعوات وما  
تترفعه للناس او تفرى به السذج ، وانما هي اسس عرفها واقسع الحياة  
الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء  
ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : ( لم يفتح الاسلام العالم ،  
ولكنه غزاه بحضارته . ) وكان منهم من قال : ( الحق ان اتباع محمد  
ظلوا اسد من عرفته اوروبا من الاعداء اربابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما  
لا يرميونا باسلاحتهم كما في زمن الحروب الصليبية كانوا يخلوننا بافضلية  
حضارتهم الساحقة . ) وقال ( ان للحضارة الاسلامية تأثيرا عظيما في  
العالم . وان اوروبا مدينة بحضارتها للعرب ) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على ان هذه الاسس التي وضعها الاسلام  
للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية  
فهي تمتاز :

اولا : بالنزعة الانسانية التي لا تعرف حدود الارض او القوم او  
اللغة ، ولا تقبل بفرقة الجنس او اللون او غيرها من العصبية .  
ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف  
ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التي تحتاج اليها الحضارة من  
خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكلما لا يعمل الاسلام من الفرد مثلا ان يندب او يحدع او يخون او يعتدى من اجل مصلحته الخاصة ، فكل ذلك لا يعمل هذه المعاسد من الجماعة او من الدولة من اجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات أساس إيماني ، لان الايمان بالله هو الاساس الاول الذي ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويحفظها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهي حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التي تعطى كل شيء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فلا إيمان فيها موضع وعمل ، وللمعمل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد احدهما الآخر ، ولا يطفئ جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطفئ فيها العبادة حتى تشل العمل او تعيق الانتاج .

على انه يجدر بنا ان نشير الى ان الاسلام نظام شامل ، وانه اذا اردنا له ان يقوم نظاما حضاريا ، وان يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التي نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من ادیان السماء جاء كالاسلام بانها للحضارة في كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو في حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحددها في الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو في نفس الانسان ايمان يدنسه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثم ، وهو بعد ذلك امر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعساد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة في الارض .

هذا هو الاسلام ، وتلك هي نظرتة ، فما أحوج عالمنا اليوم والى نظرتة لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبني على أسانها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التي تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رغاء ، وعصبية ضيقة . ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم .

وما أحوج الى النظرة الاسلامية التي تتفرد بانها وحدها من بين ادیان السماء ومذاهب الارض تجمع ما في الدين من سمو روحي الى ما في العقل من طموح علمي الى ما في العمل من فعالية دائمة ، مستثمرة ذلك كله في سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألني سائل بعد الذي ذكرت اين هي اليوم أسس الاسلام في حياة المسلمين ؟ ولا اين هي حضارة الاسلام في واقع المسلمين ؟ فما اصعب من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

# عبد الله

للاستاذ : انور الجندي

كان كذلك عدد كبير من مكبرى  
الاسلام ورجاله .

ويعبد عبد الله الله في مجاهله  
المسكري حبة من عقد ظهر منه  
الشيخ القسام وعبد القادر الحسيني  
وأحمد عبد العزيز . يقول : أكرمني  
الله تعالى وقد أن أكون قائدا للقوات  
العربية التي خاضت معركة القدس  
واستطاعت أن تطهر القدس القديمة  
من اليهود وتحفظ للمدينتين الإسلامية  
والمسيحية مقدساتهما التاريخية  
الخالدة . وانتصارنا في معركة  
القدس أبقى للعرب منطقة نابلس  
ومنطقة الخليل ، لأنه لو قدر لنا أن  
نخسر المعركة ونسحب من المدينة لما  
بقى بيد العرب شبر واحد في  
فلسطين . ذلك لأن مدينة القدس هي  
الدعامة التي ترتكز عليها الميمنة  
( نابلس ) والميسرة ( الخليل ) كما أن  
بيت المقدس هو فلسطين ومن يملكه  
وما فيه من مقدسات خالدة يعد مالكا  
لفلسطين ومن يخسرها يخسر فلسطين  
كلها .

لقد أمضى ( ١ ) ( عيد الله التل )  
الى ما قدم وعبر الى الشاطئ الآخر  
بعد أن أدى حق الله بالسيف والقلم  
مكان نموذجاً كريماً من نماذج  
المجاهدين المسلمين في العصر الحديث  
فقد شارك عبد الله الله التل محارباً  
وقائداً عسكرياً في معركة فلسطين  
عام ١٩٤٨ ومتمحت هذه المعركة  
الحاسمة التي انتهت بقيام إسرائيل  
ذهنه وقلبه الى الفطر الصهيوني  
العالمى ، ودفعته الى دراسة واسعة  
عميقة لهذا التحدي الخطير الذى  
واجه العرب والمسلمين في العصر  
الحديث . وبذلك انتقل هذا المجاهد  
المسلم العربى من معركة الى معركة  
شأنه في هذا شأن اللواء محمود  
شيت خطاب الذى اشترك في نفس  
معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ومنها  
انطلق الى دراساته الإسلامية  
والسياسية .

ولا ريب أن هؤلاء المجاهدين قد  
أقلموا في العصر الحديث صورة  
صحيحة لمفهوم الاسلام نفسه الجامع  
بين الجهاد باليد والجهاد بالقلم ولقد

وقد استطاع عبد الله التل عرض القضية في دراساته المختلفة : وأولها ( كارثة فلسطين ) ، الذى أصدره عام ١٩٥٩ وكان قد هاجر الى القاهرة في أكتوبر ١٩٤٩ وبدأ يدرس هذه القضية دراسة متأنية واسعة شاملة . ثم أصدر كتابه الضخم ( خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ) عام ١٩٦٤ ثم اتاحت له فرصة أخرى لاعداد دراسة ضخمة قصد بها نيل الدكتوراه من جامعة الأزهر نشرها فيما بعد تحت اسم ( جذور البلاء ) ( عام ١٩٧١ ) .

وفي كل هذه الدراسات التى استمرت أكثر من عشرين عاما لم يدع ( عبد الله التل ) شاردة ولا واردة حول هذه القضية في أنفها الواسع المتصل باليهودية العالمية وبالاستعمار وبتاريخ اليهود منذ الوف السنين حتى اليوم ، كل ذلك في أسلوب دقيق ومنطق علمي . وكان ( عبد الله التل ) هو في مقدمة المفكرين والقادة الذين اعلنوا الحقيقة التى أوصلهم اليها علمهم وتجربتهم وهى : « ان قضية فلسطين هى قضية دينية مقدسة في المقام الأول وان أية معالجة لها لا تكون على أساس ديني جهادى مكتوب عليها الاخفاق لا محالة » .

يقول : « وإبائى هذا مبنى على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها » .

ويشير في هذا الى تجربة الجزائر التى قامت على هذا الفهم الواضح . « لم انس بمقد تجربة الثورة الجزائرية الكبرى التى هزمت الاستعمار الفرنسى وقضت على خرافة فرنسة الجزائر يوم خيسل للاستعمار انه استطاع القضاء

على عروبة الجزائر فجسعت الثورة وسلاحها الأول : ( جهاد ديني في سبيل الله ) مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة في الاسلام فتبعت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسى بشع دام ( ١٣٠ ) عاما كاد خلالها أن يهلك الحرث والنسل وان يقضى على اللغة العربية ، بيد أنه أخفق في القضاء على الاسلام » .

وقد هاجم عبد الله التل منذ ذلك الوقت البعيد تلك الدعوات المنحرفة التى كانت تخرج معركة فلسطين من مضمونها الاصيل ومفهومها الصحيح يقول :

« ويتناسى دعاة العلمانية الذين يستطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين : انها القضية الوحيدة في العالم التى قامت منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية ، وأنه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية فأن قضية فلسطين لا تعالج الا على أسس دينية بالدرجة الأولى وأسس مادية بالدرجة الثانية ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية ان جميع المعارك الحاسمة في تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وغين جالوت الى بور سعيد والجزائر كانت صبيحة الحرب فيها دينية مقدسة : الله أكبر » .

ولقد صدق الله وعده فكانت معركة العاشر من رمضان على النحو الذى تمناه لها ( عبد الله التل ) ولعل روحه قد قررت ورشيت بأن تحول تيار الفكر الاسلامي العربى نحو هذه الحقيقة وأصبح موقفا بها .

كذلك أشار ( عبد الله التل ) في دراساته الى القوى المادية في الوطن

العربي مثل البترول وقال انها اسلحة خطيرة لا بد من استخدامها لكسب المعركة وقد تحقق ذلك .

ولقد كان على قدر كبير من الوعى والايان حين قال :

« أما اذا اقتصرنا على استخدام السلاح المادى فى المعركة فان قوى الاعداء المادية تفوق قوانا ولا يمكن التغلب عليه فى مجال المادة وحدها فاذا ما ضمنا « القوة الروحية الكامنة فى الاسلام » الى قوانا المادية نتج عنها قوة عظيمة وطاقة جبارة » .

ولقد كان لهم عبد الله التل — رحمة الله عليه — لهذه القضية الحاسمة مهما عبقا وحاسما فلم يكن من امثال الباحثين والمؤرخين الذين يقفون عند الاحداث وحدها ولكنه كان قادرا على النفاذ الى الاماق وتحليل الازمة على نحو لم يعرف الا عند عدد قليل من المقتدرين فهو من ناحية يصل الى امباق الايدولوجية التلمودية قديما منذ خصومة اليهود للاسلام فى المدينة ويتحدث عن الدور الذى قام به اليهود فى المنفى البابلى حين اعادوا كتابة التوراة على طريق المطابع والاهواء على النحو الذى كشفه القسركان الكريم ، وقطع بالرأى فى علاقتهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام وكيف كانوا يخفون الجانب الاسماعيلى العربى من تاريخه . ليقتصروه على جانبهم الاسرائيلى وحده واستطرد الى فهم اليهود للحياة وعبادتهم للذهب واشتغالهم بالربا وكيف كانت اقامتهم الاولى فى فلسطين سوداء الصلحة مغممة بالقتل والذبح والنهب والسلب والبطش والارهاب والفسد والاسر والسبى وكيف ان عمليات القتل الجماعى والفك بالناس دون النظر الى الجنس والتمييز بين الرجال

والاطفال والشيوخ قد اوجدها اليهود انفسهم ولم يسبقهم اليها شعب من شعوب الارض ومن يقرأ سفر استير فى التوراة وهو سابق على عهد الرومان فى فلسطين يجد كيف ان اليهود قد ذبحوا ( ٧٥ ) الف نسمة فى يوم واحد بايعاز من هذه اليهودية الجميلة التى استغلت جمالها عند ملك الفرس وهم يعتزون بهذا اليوم ١٤ مارس ويعتبرونه عيدا قوميا لهم ( ٢ ) . ثم يتحدث الكولونيل عبد الله التل عن التلمود ويورد تاريخا مطولا للاحداث ويكشف موقف اوربا من اليهود وكيف استطاعوا السيطرة عليها بالثورة الفرنسية وكيف امكنهم احتواء الفكر الغربى المسيحى ثم كيف قاومتهم اوربا وفتحت لهم الطريق الى بلاد العرب والمسلمين تطلعا منهم . ثم يصل عبد الله التل الى كشف جوانب خطيرة من التاريخ الحديث ثابت عن كثير من شبابنا ومتقفينا ، مما يختلف عما اوردته كتب التاريخ التى قررها الاستعمار فى مدارسنا العربية والاسلامية . وكيف نشأت الماسونية وجمعية بنائ برث ثم كيف ظهرت الصهيونية وحركة التنوير وكيف جرت الحركة من اجل اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وذلك كله مما لم يكشف الستار الا عن جانب منه كان لعبد الله التل فضل اى فضل فى الكشف عنه وخاصة فى كتابه ( جذور البلاء ) .

ولا ريب ان المسلمين والعرب فى حاجة كبرى الى أن يعرفوا هذه الجوانب الخفية وأن يصلوا الى هذه الابعاد الحقيقية التى تكشف لهم ابعاد الموقف الخطير الذى يعيشون فيه والذى ليس قاصرا على وجود احتلال استيطانى يهودى فى فلسطين وانما هناك محاصرة ضخمة للعالم الاسلامى

ومخططات خطيرة في سبيل احتواء العالم الاسلامي . فخره وراثته وثروته وكيانه كله . وان هذا العمل بدا من وقت بعيد واستهدف في اول الامر احتواء الفكر الغربي المسيحي وقد تحقق ذلك ثم مضى للسيطرة على الفكر الاسلامي بالحرب العالمية الاولى والثانية وقد انكشف ذلك كله بتسرب بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٤ ميلادية، هذه البروتوكولات التي حجبت عن المسلمين والمغرب اكثر من خمسين عاما حتى يظلوا جاهلين ما يدبر لهم .

ويكشف عبد الله التل عن أن اليهود هم الذين اضرموا نار الحريين العالميتين الاولى والثانية وتسببوا في قتل أكثر من ٤٠ مليون مسيحي . ويصل عبد الله التل الى اعلان حقيقة هامة حين يقول : لقد كان سقوط الخلافة الاسلامية هو العامل الاول في انجاح خطة اليهودية العالمية لاغتصاب فلسطين ، صحيح ان الوعد (وعد بلفور) قد صدر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ قبل احتلال فلسطين وانهاير الخلافة ، الا أن ذلك الوعد كان نظريا ولم يترجم الى حقيقة وعمل الا بعد أن اقتحم الجنرال اللنبي مدينة القدس من باب الخليل وقال عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . هذا الجنرال اللنبي الذي ظن أنه ينتقم لهزيمة حطين ويسترد سلطة المصليب على بيت المقدس كان جاهلا لا يدري انه آلة صغيرة في الجهاز الكبير الذي تسيره اليهودية العالمية لتحقيق اهدافها الجهنمية : اذ لم تكد تمضي

بضعة اشهر على حكم الانتداب البريطاني على فلسطين حتى أصبح واضحا ان حكومة الانتداب مجتهدة لخدمة اليهود وتسهيّل عملية استيلائهم على مرفئ فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية لا مكان فيها لهلال ولا صليب .

ثم كيف تذكر انهيار الخلافة الاسلامية دون أن نشير الى أن اليهودية العالمية كانت عاملا قويا في ذلك الانهيار . فاليهود لم ينسوا أن السلطان قد رد الصهيوني الأكبر هرتسل وايقنوا انه لا أمل لهم ولا فائدة في السلطان فقررت الحكومة اليهودية المستورة القضاء على الخلافة وحينها نجح اليهود في تحطيم الخلافة لم يكتفوا بذلك وانما رسموا لتركيا خطط المستقبل قرروا أن تتخلى تركيا عن الخلافة وعن اللغة العربية وأن تتخلى عن الاسلام ثمنا لتأييد دول الحلفاء لها في ثورتها التي قادها مصطفى كمال باشا ولقد كان الوسيط الذي اشرف على تنظيم اتفاقية الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حاييم نحوم الذي كان في تركيا قبل انتقاله الى مصر حاخاما أكبر ليهودها (٣) .

وهكذا كشف عبد الله التل حقائق كثيرة وتقدم في مجال الفكر والمقيدة جهدا بالغا له اجر المجاهد الشهيد ، فكان بالقلم محاربا كما كان من قبل بالسيف وقد جمّع الحسنيين ، مقاتلا بالكلمة ومقاتلا بالذمّع في سبيل القضاء على خطر يهدد الاسلام والعالم الاسلامي في هذا العصر فجزاه الله اجر العاملين وكتبه في الابرار المجاهدين .

(٢) اقرأ ذلك بالتفصيل ( ص ٣٦ ) من كتاب خطر اليهودية العالمية للكونفوليد عبد الله التل .

(٣) راجع ص ٢٢١ من كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية .

(١) توفي عبد الله التل في أواخر عام ١٣٩٢ هـ ولم ينشر خبر وفاته الا بعد ذلك وقد قرأنا أول نعي له في مجلة ( المرفان ) التي تصدر في صيدا في عدد أخير وصلنا خلال شهر صفر ١٣٩٤ هـ .

# صلاة

تصيدة للشاعر في مهرجان عيد الشهداء بمدينة  
٦ مايو ١٩٧٤

ملأنا أغنى ؟

والسمااء بقدسها وينورها ،  
غنت لهم ؟؟  
والارض الممت المبيـــــــــــــر وضــــــــمخته ،  
بعاطر من نكرهم  
والله قريبهم ، ومد العرش اظــــــــلالا ،  
لرغرف خلدهم  
وكتائب الاصرار شددت في النضال ضياعها ،  
من دريهم  
وخطا الشعوب تضل ان لم تستمد حياتها  
من خطوهم  
.. عرفوا طريق الخلد ، فاتجهوا اليه ،  
وعائقوه بمعهم  
وبروحهم ، وبسرهم ،  
ويكل ما ملكت منسابت كرمهم ،  
ويكل ما وهبته اقــــــــداد الحيااة  
لديمهم ولخيرهم ..  
بالثــــــــور .. والافــــــــلال ترفض ضــــــــوءه  
من عزة في ليلهم



# للشعراء

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالحب .. والأفلال تنسجفه لسفلى ،  
مناججا من سخطهم  
بالدم .. وهو النار عاطشة مدممة ،  
لساعة نارهم  
بالحلم .. وهو تهيئة الجبناء ،  
تخجل ان تطوف بمهدهم !  
بالروح .. وهى الطائر المجرّوح ،  
من غيظ التراب بارضهم  
بوجودهم .. ووجودهم هذا التراب الحر ،  
يصرخ تحتهم :  
ان لم اكن حرا ، فلا عبرت على وجهى  
عروبة وجههم !  
ردوا عليه بان سقوه ، بكل آخر قطرة  
من كأسهم  
بدمائهم ، بفدائهم ، ببضائهم ،  
قطفوا الحياة بموتهم  
والله ما ماتوا .. ولا عرف البلى عرقا  
يجف بجسمهم !  
عرفوا طريق الله ، فاتجهوا اليه  
وبليغوه بعمرهم !!

من هؤلاء؟

هم الذين مشاعل الانسان تحمل ضوئهم  
صنعوا من الاجال مصباحا ، عرفت به  
اشعة شمسهم

وعرفتهم .. لما رايت العمار تغسله الدماء  
بجرهم ..

وعرفتهم .. لما رايت السفل يحصده الابداء ،  
بكبرهم ..

وعرفتهم .. لما رايت الياس بدده اليقين  
بعزمهم ..

وعرفتهم .. لما رايت الارض ترفع راسها  
من بأسهم ..

وبكل يوم تشبههم حاصدا لعدوها  
من تربهم ..

وعرفتهم .. لما رايت كرامة الاوطان تهزج  
باسمهم ..

وعرفتهم .. لما استمدت وجود وجهي في الوجود  
بيومهم ..

قد كلن ضاع ، وضاع . حتى غاد  
ممتشق الابداء بكفهم !

شهداء .. تخشع كل ذرات الفضاء ،  
لهالة من طهرهم

وتيس رايسات الممارك كلما نشأت  
معارج عطرهم !

كل البطولة قطرة شربت رحيق مضائها  
من بحرهم

كل الثرى عبـد اذا لم يرشـقوه  
بوقدة من جمرهم ..  
شهداء !! صوت الحق جلجل كالآذان ،  
مخلقا من صوتهم ..  
شهداء .. ربح النصر هبت من لظى قبس اللظى  
من صدرهم  
ذبحوا اساطير الطفـاة .. ولقنوها آية  
من درسم  
ومضوا .. ويمضى كل يوم للفرانس  
زائر من ركبهم  
حتى تغرد فى التراب حقيقة  
تشجى سرائر طيرهم  
.. حينتهم فى كل شبر اهلكوا فيه  
سلاسل قيدهم  
وعرجت بالآوتار حتى شارفت  
الى النبوة حولهم  
وطرقت باب الخلد اسـال اى روى  
فى الاراك ضمهم ؟  
وبى رفر فنة املكها وطيرها ،  
حظيت بهم ؟  
فعلـمت ان الله كرمهم  
ونعم بالشهادة قريهم !!  
ماذا اغنى ?? والسماء بتقدسها وينورها غنت لهم  
.. فانذا شحوت .. فلن اكون سوى صدى لقصيدة من  
شعرهم !!

# منهج الاسلام

للككتور محمد فوزى فيض الله

١ - ربما كانت هذه التسمية حديثة في البحث الاسلامى ، وربما كانت الماتيا المهد الأول الذى نبتت فيه فكرة التضامن أو التكافل الاجتماعى فى العصر الحديث ، ومنها انبثت الى الاقطار الاوروبية ثم الشرقية ، وكتب فيها الباحثون والمقننون .

لكن هذا لا يعنى ابدا ، خلو النظام الاسلامى من فكرة التكافل ، أو غنى نظره عنها ، أو اهماله أو تقصيره فى تطبيقها . وسنرى فى هذا البحث القصير ، كيف أن الاسلام سبق الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وأقام لها نظرية مستقلة ، ورسم لها الخطوط العريضة ، ووزع المسؤولية فيها على المجتمع المسلم وجهاته ، وأشرف الحاكم والمحكوم على السواء على تطبيقها ، كما يتضح ذلك من المصور العملية ، والوقائع التاريخية ، التى أبرزتها فى المجتمعات الاسلامية ، فى عهود النهضة ، وأزمة التخلف .

٢ - ويمكن تحديد التكافل الاجتماعى - بوجه التقريب - بأنه : تنظيم مالى دينى ، يقوم على فكرة التعاون بين الدولة وبين الكاسبيين ، افرادا وجماعات ، لسد حاجات الفقراء ، وحفظ كرامة المحرومين ، وتهئية سبل العيش الكريم لهم ، من غير استغلال أو تجاوز .

وليس من المهم فى الاسلام التحديد الصورى ، بعد تحقيق التكافل روحيا وعمليا فى المجتمع ، بدون اعتبار العرق والدم ، والعنصر واللغة ، ومجالات الاقتصاد ، وبيئات الفلاحين والعمال ، كما اقتضت عليها بعض المذاهب الاجتماعية المادية الحديثة ، فهبطت ، واستهدفت للنقد اللاذع ، الذى قتل من انسانياتها .

كما يمكن رسم الهدف منه فى الاسلام ، وهو - كما يبدو من التحديد - : قطع دابر الفقر ، والعوز ، وصون كرامة الانسان ، واحباط أساليب التجاوز والاستغلال ، فى المجتمع الاسلامى .

٣ - وقد وزع الاسلام المسؤولية التكافلية - اذا صح هذا التعبير - على جميع الجهات التى يتصدر منها الامداد المادى ، فى المجتمع الاسلامى ، بادئا بالفرد المسلم ، ومنتهيا بالدولة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى موصول الرحم ، موثوق عرا المودة ، يتعاون افراده على الخير فيها بينهم ، لاصلاح شأنهم كله ، فى الدين والدنيا ، متضامنين .

وقرر الاسلام - فى هذا الصدد - مبادئ ، من شأنها اذا طبقت أن تيسر تحقيق التكافل الاجتماعى فى الامة ، وأن تقطع السبيل على كل ما يعوق وجوده أو يناقضه ، ثم حصر المسؤولية التكافلية فى أربع جهات :

# في الشكافل الاجتماعية

- ١ — الجهة الاولى : مسئولية الفرد .
- ٢ — الجهة الثانية : مسئولية ذوى القربى .
- ٣ — الجهة الثالثة : مسئولية الجماعة المسلمة .
- ٤ — الجهة الرابعة : مسئولية الدولة .

وسنلم بهذه الجهات إلما خفيا بعد لمس سريع للمبادئ الشرعية الاولى المؤيدة ، التى تحقق التكافل تلقائيا ، وتحبط كل ما يعوقه .

## اولا — المبادئ الاولى المؤيدة :

٤ — ان تكافل المسلمين — بالمعنى الذى رسمناه — حكم شرعى أصلى ، قرر له الشارع مبادئ سلبية ، وإيجابية ، وأخلاقية : من شأنها أن تيسر تحقيقه ، وأن تحول دون تركيز المال فى أيد قليلة .

## القسم الأول — المبادئ السلبية :

٥ — ونعنى بها تحريم الاسلام كل كسب غير مشروع ، من ذلك — على سبيل المثال — :

أ ( الربا .. وقد حرّمته الأديان السماوية كلها ، لما فيه من استغلال كدح الآخرين ، دون تعرض لتعب أو مخاطرة . وكذب اليهود بزعمهم حله لهم ، ونطق القرآن بتحريمه عليهم .

ويؤخذ من نصوص الشرع فى الربا أنه محرم عموما ، والتحريم يشمل القليل والكثير ، والاستهلاك والانتاج ، وقد أكد النبى — صلى الله عليه وسلم — إلغاءه فى حجة الوداع ، التى لخص فيها خصال الدين ، وخص بالذكر ربا عبه العباس ، وكان يمول التجار والمستوردين .

## ب ( الاحتكار :

وهو حبس ما يحتاجه المسلمون من السلع الضرورية ، ابتغاء غلاء الأسعار ، بوقوع الأزمات . ولا شك أن هذا مطلب سيئ ، بل هو أنانية مسرفة ، ينطبق عليها المثل العربى القديم : « نعم كلب فى بؤس أهله » . وقد ورد فى التهريب منه حديث : « من احتكر حكرة ، يريد أن يغلى بها على المسلمين ، فهو خاطيء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

## ج ( الغش :

وقد حرّمه الشرع لاتطوائه على الخيانة ، وإلحاق المكروه بالآخرين . وفى الحديث : « من غشنا فليس منا . والمكر والخداع فى النار » .

٦ — وحرّم الاسلام كل ما فيه أخذ مال الآخرين بغير حق : كالسرقة ، والغصب ، والقتار ، والرشوة ، وأكل أجره العامل ، وقرن ذلك بقتل النفس ،

فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم » . وفى الحديث : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه » .  
**القسم الثانى - المبادئ الإيجابية :**

٧ - ونعنى بها توزيع المال بين المسلمين بما يكفل تفتيت الثروة ، ويمنع تكتلها فى جانب أو جوانب محدودة . فمن ذلك :

٨ - ( ١ ) **التقريب بين الطبقات** ، باستغلال بعض المناسبات ، لإيجاد نوع من التوازن بين الناس . كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أموال بنى النضير التى صالحهم عليها ، فقد وزعها على المهاجرين على التخصيص من دون الأنصار ، لأنهم افتقروا بسبب الهجرة ، والخروج من ديارهم وأموالهم ، ولم يشرك معهم سوى ثلاثة من الأنصار ، كانوا فقراء . وكما امتنع عمر - رضى الله عنه - من تقسيم أراضى العراق بين الفاتحين ، الذى اقتضته النصوص ، واكتفى بأخذ خراجها للدولة ، ووجد مستنده فى قوله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

#### ب ( الميراث ) :

٩ - فبينما حظرت بعض المذاهب المادية باطلاق ، وحصرته بعضها فى أفراد محددين ، عمد الإسلام الى التوسط ، فوزع التركة على الأتارب الأقربين والأرحام ، بحيث تتحول الملكية الضخمة فى التركة ، الى ملكيات صغيرة متعددة .

وهذا أمثل طريق لتقليل الفروق الاجتماعية . ولذلك جعله الإسلام من النظام العام الذى لا يخالف عنه ، وحرم كل تصرف يناقضه ، كالوصية للوارث ، وحرمان الوارثين .

فأين من هذا النظام الحكيم ، نظم الغرب الحديثة ، التى ينقل بعضها ثروة الثموى ، كلها أو معظمها الى البكر من أولاده ، ويدع كثير منها المالك حراً فى أن يوصى بتركته لمن يشاء .. ؟ فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محددين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات ، والثورات العنيفة ، التى تعرضت لها أوروبا - وغيرها - فى العصور الحديثة .

#### ج ( محاسبة العمال ) :

١٠ - ونشاط عمر - رضى الله عنه - وشذته فى هذا الجانب معروفة : ( ١ ) مر ببناء يبنى من الحجارة لا الطين . فقال : لمن هذا .. ؟ فذكروا له عاملاً ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله .

ب ( وناقش أبا هريرة - رضى الله عنه - وقسا عليه ، ودارت بينهما محاورة قوية . ورد فيها قوله : استعملك على البحرين ، وأنت بلا نعين .. ولم تبين له براءة ذنبه ، أراد أن يعيده عاملاً كما كان ، فاعتذر أبو هريرة .

ج ( حتى عمرو بن العاص ، الصحابى الجليل ، الفاتح الوالى ، يرسل اليه عمر محمد بن مسلمة ليحاسبه ، ويوجه معه هذه الكلمات : « فأطلمه وأطلمه ، وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك » .

والأصل فى هذه المحاسبات والمشاطرات ، حديث ابن اللثبية المعروف . وقد ورد فيه : « هلا جلس فى بيت أبيه وامه ، فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

### القسم الثالث — المبادئ الأخلاقية :

١ — ومما يعين على تحقيق التكافل في المجتمع الاسلامي ، هذه المبادئ التي تعد من مكارم الاخلاق ، كالكف عن الظلم ، والنشع ، والترف والسرف ، والحث على التراحم والكرم ، والتعاون والتوآد ، واطعام الجائع ، وحفظ الضائع ، وتقريب الفقراء ، واتخاذ الايادي عندهم ، فهم اصحاب الدولة يوم القيامة .

وقد بلغ من حذب الاسلام عليهم ، ان دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان يحيا ويموت ويحشر مع المساكين . ولما سألته في ذلك عائشة ، قال : « انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا . يا عائشة : لا تردى مسكينا ولو بشق تمره . يا عائشة : احببى المساكين وقربهم ، فان الله يقربك يوم القيامة » .

### ثانيا — جهات المسؤولية :

وبعد ان فرغنا من تبين هذه المبادئ الأولية ، التي هي بمثابة مقدمة للتكافل الاجتماعي ، فنحاول الاسس والجهات التي اقام عليها الاسلام نظريته في التكافل :

### الجهة الاولى — مسؤولية الفرد :

١٢ — وتتمثل هذه المسؤولية في العمل . وهو ركن البقاء والحياة ، سواء اكان زراعة ام صناعة ام حرية ام وظيفة . وهو بهجة الدنيا ، مهما استنزف من جهد . واللقمة المزوجة بعرق الجبين وكد اليمين ، انها من التي تأتى احسانا ، او على موائد الآخرين : « ما اكل أحد طعاما قط ، خيرا من ان يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .  
ان العامل يكفى نفسه ، ويغنى ذويه ، ويسعد المجتمع الذي يعيش فيه .

وان التقدم الحضري ، والنشوء والارتقاء في الحياة ، رهين بالعمل . ولولا ان يعمل الانسان لبقى عائشا في المغارات والكهوف ، ولما تطور على مر العصور ، ولما وجدنا بيتا نسكره ، أو ثوبا نلبسه ، أو كتابا نقرؤه ، ولما اتصل الانسان بأخيه الانسان ، ولا قامت مدنية ، ولا ازدهرت حضارة .  
الحياة هي العمل ، والعمل هو الحياة . وليست الحياة من الكسل في شيء ، لانه العجز والموت .

١٣ — وقد فجر الله تعالى ينابيع الرزق عندما ذرا الحياة على الأرض ، وسخر ما عليها وما في جوفها لخدمة الانسان . لكن اقتضت حكمته ان لا توجد الأرض بخيراتهما من دون جهد ، فأمر الانسان بالعمل ، وجعله ضريبا من العبادة ، وربما جعل من العبادة قوة على التدبير والمعاش ، فقال تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » . وقال : « واستعينوا بالصبر والصلاة » . وأثنى على الجائئين من رواد الرزق ، كما أثنى على المجاهدين بأنفسهم ، وقال : « وآخرون يضرِبون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله » .

وامتن على عباده إذ مكنهم من عمارة الأرض ، والتزود منها بالخير الذي تصلح به حياتهم ، فقال : « ولقد مكنكم في الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش » وأشار الى الصلة بين الانسان والعمل والفكر ، ليتقن الانسان عمله ، ويعترف على عظمة الله وتوحيده من خلال ما ينتجه : « والله جعل لكم ما خلق

**ظللا ، وجعل لكم من الجبال أكفانا ، وجعل لكم سراويل تقيكم الحر ، وسراويل تقيكم براسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم ، لعلكم تسلمون » .**

١٤ — وقد عقل الأنبياء والعلماء — ورثتهم — والسلف الصالح من هذه الأمة ، شرف العمل : فبأمر آدم الزراعة ، وعمل نوح فى النجارة ، وتربس داود بصناعة الحديد ، وامتنع عيسى الطب ، ورعى موسى الغنم ، كما رعاها نبينا — عليه وعليهم الصلاة والسلام — وأكد أن رعى الغنم قسمة بين الأنبياء جميعا ، وقال : « ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم » .

١٥ — وأشدت نصوص السنة بفضل العمل ، ونوهت بمنزلته :  
( أ ) منها ما قطع للعاملين الكادحين بالمغفرة : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

( ب ) ومنها ما فضل عمل اليد بخاصة : « أفضل الكسب عمل مبرور ، وعمل الرجل بيده » .

( ج ) ومنها ما سما به الى درجات العباد ، واعتبره من الجهاد اذا صلحت النية : « فمن كعب بن عجرة » ، قال :

مر على النبى — صلى الله عليه وسلم — رجل ، فرأى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال :

« ان كان خرج لىسمى على ولده الصغار ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج لىسمى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج لىسمى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج لىسمى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .  
( د ) ومنها ما سما بالعمل الى ما وراء الجهاد . فمن أنس مرفوعا : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله ، انما الجهاد من عال والديه ، وعال ولده ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس ، فهو فى جهاد » .

### **١٦ — العمل لا ينافى التوكل :**

ولهذا يرى أهل العلم أن العمل لا ينافى التوكل على الله ، بشرط أن يكون الاعتماد فى الرزق على الله ، لا على العمل نفسه ، لأن الله تكفل بكفاية مخلوقاته ، حين قال : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » . لكن الإنسان مأمور باتخاذ السبل للكسب المشروع ، معتقدا أن الرزق من لدن رب العالمين ، وأن الرزق ليس من محتياجات العمل . وهذا ما أشارت اليه الجملة الحالية فى قوله سبحانه : « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » .

وإذا تخلف الرزق عن الكسب ، كان لاتعدام التوكل ، كما روى من حديث عمر : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما تزرق الطير ، تغدو خصاصا ، وتروح بطانا » .

قال الرواة : خرج شقيق البلخى ، يريد التجارة ، وودعه صديقه ابراهيم بن ادهم . ولم تمض أيام حتى عاد شقيق ، وراه ابراهيم فى المسجد ، فقال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، انا طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة ، فوضعتها فى منقار الطائر المهيض الجناح . فقلت لنفسى : يا نفسى : الذى قبض لهذا



الطائر الكبير الجناح ، هذا الطائر السليم الصحيح فى هذه الفلاة من الارض ، قادر على أن يرزقنى حيث كنت . فتركت التسبب ، واشتغلت بالعبادة . فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون افضل منه . . ؟ أما سمعت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أن اليد العليا خير من اليد السفلى . . ؟ ومن علاية المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار . . ؟ فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال : أنت استأذنا يا أبا إسحق ، وعاد الى تجارته .

### الاسلام يأمر باتقان العمل . .

١٧ — ويأمر الاسلام العاملين باتقان العمل ، بحيث لا يكون فيه عيب أو خلل ، وفى الحديث : ( ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن ) . بل يعاقب المولى تعالى من قصر فى عمله بعذاب بئس ، مستصعب الشفاء ، نورد : « اذا قصر المبد فى العمل ، ابتلاه الله بهم » .

### الاسلام يأمر بالاحسان الى العامل :

١٨ — اذا أدى العامل عمله ، استحق أجره المشروط له فى العقد ، بالغاً ما بلغ . ويلاحظ ما يأتى :

( أ ) ان العامل يستحق الأجر بمجرد الانتهاء من العمل ، ما لم ينص فى العقد على خلافه ، ويعمل لذلك الفتواء : بأن العامل — سلم المعتقد عليه ، فاستحق بدله ، كالبائع اذا سلم المبيع المعتقد عليه ، استحق الثمن ، وهو البذل . بل لقد ورد مرفوعاً : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .  
( ب ) لا حد لأجر العامل ، الا ما جرى به العقد . ولا يتدخل الشارع بالتحديد الرفع الضرر عن العامل ، اذا تحكم صاحب العمل فى أجره ، فيتدخل الشارع لاتصاف العامل ، وذلك بفرض أجر المثل . ويعتبر ذلك ابن القيم — رحمه الله — من قبيل تدخل الحاكم عند احتكار الأقوات ، وتدخله هنا لاحتكار الصناعات .

ويشبه رفع الضرر هنا عن العامل فى الاجارة ، رفع الضرر عن البادى فى البيع ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

( ج ) لا يجوز ارهاق العامل ، وينبغى أن ينال قسطاً من الراحة ، كغيره من المجاهدين . والله — تعالى — لم يكلف عباده الا وسعهم . ونهى الاسلام عن تكليف الرقيق المملوك ما لا يطيق ، فكيف بالعامل المالك . . ؟ « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فاعينوهم » .

( د ) يتصرف العامل فى أجره كما يشاء ، اتفاقاً ، واستهلاكاً ، وتبليكا ، وتملكاً ، ولو لوسائل الانتاج ، كالأرض والآلة والمصنع ، والاسلام لا يعرف قاعدة : « من كل بحسب طاقته ، الى كل بحسب حاجته » .

### توفير العمل للمواطنين . .

١٩ — فى نظام الاسلام ، تتعاون الدولة والامة ، لايجاد العمل لذوى البطالة ، مهما كان نوع العمل ، مما يكفيه ، ولا يشقيه ، ويحميه من التكف والمساءلة .

وقد ورد : « لأن يأخذ أحدكم حيله ، ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع  
ليأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » .

كما روى « عن انس ، أن رجلا من الأنصار أتى النبي — صلى الله  
عليه وسلم — يسأله ، فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حلس ( أى كساء )  
نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب ( أى إباء ) نشرب فيه المساء . قال :  
أنتى بهما . فأناه بهما ، فأخذهما ، فقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا  
أخذهما بدرهم . قال : من يزيد على درهم ؟ — مرتين أو ثلاثا — قال رجل :  
أنا أخذهما بدرهمين .

فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر  
بأحدهما طعاما ، وانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتتني به . فشد فيه  
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عودا بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب  
وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى  
ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :  
« هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة . إن المسألة  
لا تصلح الا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطوع ، أو لذى دم موجع » .  
٢٠ — وفي هذا الاثر دروس وعبر : فلم يشأ النبي — صلى الله عليه وسلم — عليه الصلاة  
والسلام — له المسألة ، وكون له رأس مال من يسير ما يملكه ( السكوب  
والكساء ) ، ووجهه الى حرقة تناسبه ، وحدد له مدة للعمل ، ووازن له بعدها  
بين الحرقة والتكفف ، وقرر له أن المبدأ فى الاسلام هو النهي عن المسألة ،  
وانها لا تحل الا لمن أرهقه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو فدحته الدية .

وقد سبق هذا الهدى النبوى : فى مكافحة البطالة ، واطاحة فرصة  
العمل للعاطلين — فى يسر وأصاله وتوفيق — القائمين على شئون العمال فى  
إيماننا ، بقرون طويلة ، وأغنى بمبادئه عن تقنياتهم ، وفلسفاتهم المادية .

### **كراهية الاسلام التكفف ..**

٢١ — وأخذا من الحديث السابق وغيره قرر أهل العلم : أن من كان  
قادرا على العمل ، وهو يجده ، حرم عليه السؤال . فان كان غير قادر ، أو  
لم يجد العمل اللائق ، واحتاج الى النفقة ، جاز له السؤال ، بشرطين :

١ — أن لا يذل نفسه .

٢ — أن لا يؤذى المسئول .

فان فقد شرط منهما حرم السؤال اتفاقا .

نعم ، اذا ثبت العجز المطلق عن العمل ، لطفولة أو شيخوخة أو انوثة أو  
آفة ، فان الشريعة تلزم أقارب العاجز بالنفقة عليه ، ويقضى له بها عند  
الامتناع ، كما سنرى الآن .

### **الجهة الثانية — مسئولية ذوى القربى :**

٢٢ — وهذه أولى الجهات التى يتمثل فيها التكافل الاجتماعى .  
وما تزال الأسرة فى الشرق ، الذى هو مهبط النبوات موئل الحضن  
الرحيب ، والعطف الدافئ ، والتناصر المؤزر . ومهما اهتزت فى الأسرة هذه  
المعاني ، فى عصور الصناعة ، وطفغان المادة ، فما يزال فيها بلغة من كفاف ،  
وسداد من عوز ، بفضل تعاليم الدين الحنيف .

وفى الفقه الإسلامى — فضلا عن الكتاب والسنة — نسقت أحكام الفقهاء من ذوى القربى ، فى تدرج دقيق ، لا يدع محتاجا فى الأسرة إلا كفاه وأغناه .  
ومن أهم ما ورد فى القرآن الكريم فى رعاية حق القريب قوله تعالى :  
« **واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبوالدين إحسانا ، وبذى القربى** » .  
رفع الإحسان الى القريب الى منزلة الإحسان الى الوالدين ، وقرر وجوبهما بعد عبادة الله . وهذا وضع فريد ، لا يعرف عند غير المسلمين .  
بل سعى القرآن الكريم الإحسان الى القريب حقا ، وجعله مختصا به باضافته اليه ، فبترتب عليه ما يترتب على سائر الحقوق ، من الالتزام والتنفيذ . قال تعالى : « **فآت ذاك القريب حقه والمساكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون** » .  
وكذلك ورد فى السنة : « **أمك وأباك ، وأختك وأخاك .. حق واجب ، ورحم موصولة** » .

وعلق ابن القيم — رحمه الله — على هذا الحديث بقوله :  
« **فأى قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعا وعطشا ، ويتأذى غاية التأذى بالحر والبرد ، ولا يطعمه لقمة ، ولا يسقيه جرعة ، ولا يكسوه ما يستر عورته ، ويقيه الحر والبرد ، فإن لم تكن هذه قطيعة ، فإنا لا ندرى ما هى القطيعة المحرمة ، والصلة التى أمر الله بها** » .

### **التكليف الفقهى لنفقة القريب ..**

٢٣ — لما أن القريب يرث قريبه إذا مات ، فإن من العدالة أن يحكم لهذا القريب على قريبه بالنفقة ، إذا احتاج أو اضطر . والغرم بالغنم ، وكل حق فى الإسلام يقابله واجب . وهذا من العدالة الظاهرة البارزة فى التشريع الإسلامى العظيم .

### **مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ..**

٢٤ — تعددت مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ومشمولاتها ، بالنظر الى سببها :

أ ( فذهب مالك الى وجوب النفقة بين الأبوين وأولادها فقط ، من دون الأجداد . وذلك اعتبارا للولادة المباشرة . فتجب نفقة الوالدين الفقيرين أو المعاجزين على الولد القادر ، كما تجب نفقة الأولاد الفقراء والمعاجزين على الآباء المباشرين .

وقد نص المالكية على أنه : لا يجب أن ينفق الجد على ابن ابنه ، ولا ابن الابن على الجد .

فانحصرت النفقة عند المالكية فى حدود الولادة المباشرة .

ب ( وتوسع الشافعى ، فأوجب النفقة ، بسبب الولادة ، مهما طال خط القرابة ، وامتد عمود النسب ، علا أو دنا .

ج ( بينما ذهب الحنفية الى وجوب النفقة بسبب قرابة المحرمية ، التى تحرم الزواج ، فتجب عندهم علاوة على ما تقدم للأعمام والمعمات والأخوال والخالات على أقاربهم ، ولا تجب لأبناء هؤلاء على أقاربهم . وهذا الرأى أوسع من الرايين السابقين .

د ( وذهب الحنبلية — متوسعين — الى وجوب النفقة بسببين :

الأول : بسبب القرابة فى عمود النسب ، مهما بعدت ، بشرط اتحاصد الدين .

والآخر : بسبب القرابة فى غير عمود النسب ، بشرط الإرث .  
٢٥ - ويتضح من هذا العرض الموجز أن مذهب الحنبلين فى هذه الجزئية ، هو أوسع المذاهب الفقهية الأربعة . ولذلك اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية العربية الثالثة ، التى انعقدت فى دمشق سنة ١٩٥٢ م . العمل به ، فيما عدا نفقة الاصول ، فانها اقترحت العمل بمذهب الحنفية ، لإيجابه النفقة فيما بينهم ، مع اختلاف الدين .

٢٦ - وربما وجد فى غير المذاهب الأربعة ، من ذهب الى أبعد مما ذهب اليه الحنبلون ، فقد نقل الإمام الكاسانى - الملقب بملك العلماء - عن ابن أبى ليلى ، إيجاب النفقة لذوى الأرحام من غير المحارم ، على أقاربهم ، ووجد دليله فى قوله تعالى : « **وعلى الوارث مثل ذلك** » من غير تفصيل بين المحارم وغيرهم .

وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن الفقير العاجز إذا لم يكن له قريب غنى ، كانت نفقته واجبة فى بيت مال المسلمين ، فى جميع موارد . ولما حكمت بعض المحاكم الشرعية بذلك ، فى بعض البلاد العربية المسلمة ، نقض حكمها ولى الأمر ، ولفت نظرها الى رفض كل قضية من هذا النوع .. !  
**مشمولات نفقة الأقارب ..**

٢٧ - وتشمل نفقة الأقارب : الغذاء ، والكساء ، والسكن وملحقاته ، والعلم الضرورى ، وكل ما تنسد به حاجته ، كالتطبيب فى أيامنا ، لأنه أصون للحياة من شئون الغذاء والكساء .  
والحق الحنبلى بها الخادم إن احتاج اليه المنفق عليه ، لأنه من الكفاية . بل نصوا كالحنفين : على وجوب اعفاف من تلزمه نفقته ممن هو فى عمودى النسب . بل قال الغاضى : « وكذلك يجىء فى كل من تلزمه نفقته ، من أخ ومم ، وغيرهما ، لأن أحد نص فى العبد ، يلزم أن يزوجه إذا طلب ذلك ، وإلا بيع عليه » .  
ثم نصوا على أن « كل من تلزمه اعفاف رجل ، تلزمه نفقة امراته ، لأنه لا يتمكن من الاعفاف إلا بذلك » .

وهذا التشريع الفقهى القضائى من فرائد التشريع الإسلامى ، الذى غمطه حقه ذووه وجاهلوه ، وراحوا يبحثون عن حلول لمشاكلهم عند أهل الشرق والغرب ، مع أن هؤلاء بحاجة الى مثل هذه الطول العملية المعقولة المقبولة ، التى لا يعرفونها فى أنظمتهم .

٢٨ - ومن طريف ما ذكره المرحوم ، الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، قوله ، فى حديثه عن الأسرة وعناية الإسلام بها :  
« أنى حين أقامنى بفرنسا ، كانت تخدم الأسرة التى نزلت فى بيتها فترة من الزمن ، فمات يظهر عليها مخايل كرم الأصل . فسألت ربة البيت : لمأذا تخدم هذه الفتاة ؟ ليس لها قريب يجنبها هذا العمل ، ويوفر لها ما تقيم به حياتها .. ؟ »

فكان جوابها أنها من أسرة طيبة فى البلدة ، ولها عم غنى موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ، ولا يهتم بأمرها . فسألت : لماذا لا ترفع الأمر الى القضاء ليحكم لها عليه بالنفقة .. ؟ فدهشت السيدة من هذا القول ، وعرفت أن

ذلك لا يجوز لها قانونا .

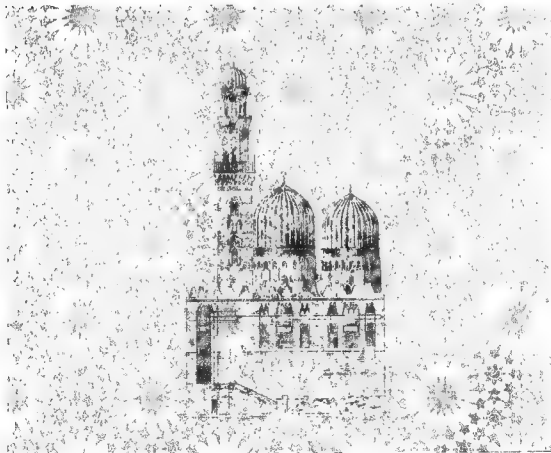
وحينئذ أهميتها حكم الإسلام في هذه الناحية ، فقالت : ومن لنا بمثل هذا التشريع . . ؟ لو أن هذا جائز قانونا ، لما وجدت فتاة أو سيدة تخرج من بيتها للعمل ، في شركة أو مصنع أو معمل ، أو ديوان من دواوين الحكومة » .

٢٩ — وبعد هذا العرض الموجز ، نستطيع أن نقول مطمئنين : أن الإسلام في تقرير نظام النفقات على الأقارب ، الأصول والفروع ، والمحارم وغير المحارم من الأرحام ، قد ثبت الركن الأساسي الأول في التكافل الاجتماعي ، وسبق بذلك التقنيات الوضعية ، أن لم يكن قد انفرد عنها به .

وهو — مع ذلك — قد أخضعه للقضاء ، ولم يجعله من قبيل التوصيات والاحسان الفردي الموكول الى رغبة القريب ، والموقوف على مبلغ تآثره بالأوامر الدينية . وإن إنباطه بالقضاء تعنى إخضاعه للعقوبة ، والتعزير بالجنس ، والتفريم عند الامتناع .

ولا نعرف نظيرا لهذه التشريعات الدقيقة ، لهذه المسألة الخطيرة ، عند غير المسلمين . وقد طبقت لحسن الحظ منذ فجر الإسلام ، وما تزال مطبقة — بحمد الله — حتى يومنا هذا في معظم المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية .

#### البحث بقية



# قصة من الأدب الديني



بقلم : محمد نبيب البرهني

تزداد قيمتها سوادا يوما بعد يوم .  
ولما تكامل الحفل افتتحه ابليس  
بصيحة مدوية وقال : لقد أصبحت  
في هذه الأيام تعانيون من الراحة التي  
تنزل عليكم بغير حساب ، ان افسادكم  
لبنى البشر لم يعد يكلفكم جهدا كبيرا ،  
فان فريقا كبيرا منهم يتولون عنكم  
هذه المهمة ، ولذلك فانكم لن تسألوا  
اليوم امامي عن نوعية اعمالكم ، وانها  
ستسألون عن الكم فيها ، وما كان  
منكم من ابداع جديد ، أو اختراع ،

أمر ابليس اعوانه بالاستعداد  
للحفل الدوري الذي يقام في المسالم  
السفلى ، وفي هذا الحفل يمنح  
الشیطان الأكبر جائزة التفوق والتقدير  
لاكثر أعضاء الأسرة الابليسية فسادا  
وافسادا في الأرض ، وقد حرص  
اتباعه على تنفيذ أوامره بغير تأخير  
ولا تاويل ، فهم يدعون من شتى بقاع  
الكوكب الأرضي كل شیطان مريد  
لیمشارك في هذا الحفل الأسود ،  
ولیستمع الى الفصائح السوداء ، التي

الدنيا وفى قلبه تتور براكين الاحتقاد .  
وانحنى الشيطان الحائز لجائزة  
التفوق أمام أخوانه كما ينحن بنو  
الانس فى حفلات الكوكبيل قال :

اننى اتبع فى عملى فنا جديدا ، ان  
من فنون الصيد مثلا ان تعرف كيف  
تجعل السمكة تسرع الى الطعم  
المسموم لتبتلعها مأخوذة فى البداية  
بما يثيره فى نفسها من شهية بعناصر  
الاغراء البادية فيه ، أما ما يحدث  
بعد ذلك فانتم تعلمونه .

قال ابليس الكبير : ولكننا قد  
بعثنا بك الى قوم يصنون ويصومون  
.. ومكثت فيهم طوال العام .. ولقد  
ظن كثير من أخوانك ان مهيتك  
ستكون صعبة ..

قال التلميذ النجيب ضاحكا فى  
تلطف : ان أخوانى هؤلاء من  
السذاجة بمكان عظيم ..

قال أحدهم غاضبا : لا نسمح لك  
ان ترمينا بالسذاجة .. ان نيلك  
للجائزة لا يمنحك علينا نوعا من  
الاستعلاء ..

فانحنى مرة اخرى حتى كاد جبينه  
ان يمس الأرض ثم قال :

انما أعنى بالسذاجة .. انكم كنتم  
تظنون الصعوبة فى مهمتى حين علمتم  
اننى بعثت الى قسوم يملسون  
ويصومون ..

انكم لن تسالوا عن حجم الفساد ، ولا  
عن عدد الجرائم ، فكل ذلك أصبح  
تلقائيا ، وهم — أعنى الناس —  
يؤدون بطريقة منتظمة كما تدور  
عجلات الآلات .. ويزدادون منها  
كلما ظلمت شمس أو غاب نهار ، من  
اجل هذا سوف أوجه اهتمامى الى  
الحيل التى تضاعف من حجم الخيبة  
على هذا الكوكب البئيس ..

يا أبناء الجحيم هل تسمعوننى ؟  
وهل تفقهون قولى ؟ .. أريد افكارا  
جديدة — والآن اطفئوا الأنوار فائنى  
أريد أن أسمع وأرى .. لقد درست  
الأمر من قبل ، وقامت بفحص أعمالكم  
طوال العام لجنة من أكبر أساطين  
الاثم والشر والعار .. وقد وقع  
الاختيار على من سوف تستمعون  
اليه .. والآن تقدم يا أعز الأبناء ،  
وأذكر للخالدين فى سقر ، كيف  
استطعت أن تضع الغامة الجديدة  
السوداء على عيون بنى الانسان .

\*\*\* \* \* \* \*

تقدم التلميذ الاول وهو وسيم على  
أحسن ما تكون صور الوسامة ،  
ذلك أن الشياطين لم يعودوا يظهرون  
فى الفترات الأخيرة بقرونها الملتوية ،  
وعيونهم التى ينبعث منها الشر ..  
لقد أخذوا عن الناس صورهم ...  
الصور ولا شئ غير الصور فمن  
الناس من يعجبك مظهره فى الحياة

للزواج من احدى تربيّات العاهل  
الهرم . . ؟

قال صاحب الجائزة : يا أبناء  
الدخان . . اميرونى اسماعكم  
واصفوا الى بوعى حصيد :

اننى لم اكن لاعبا ولا لاهيا . .  
لقد كان هدفى النفاذ الى قلوبهم  
مازين لهم ظواهر الاثنياء واقف بينهم  
وبين الحق . . فى احدى المدن الكبيرة  
جسر فوق النيل وضعوا على مداخله  
تمثالين كبيرين يمثل كل منهما أسدا  
مجرد تمثال من حديد مبتلىء من  
الداخل بالهواء . . ان السذج من  
الاطفال يقفون عنده ماخوذون بروعته  
وهم يرون فى النظر اليه متعة اكثر  
من النظر الى الأسد الحى الهصور  
.. ان الأسد الحقيقى المنطلق فى  
آفاق الغابات هو الانسان المؤمن  
القوى الذى يستمد قوته من غذاء  
السماء . . أما الذين تخلو قلوبهم من  
النور ، فانهم يصبحون صورا مزيفة  
انهم يحملون أسماء تدل على الايمان  
الذى ليس لهم من حقيقته الا الصورة  
.. مثلهم كمثال الأسد المصور القائم  
على قاعدة تمثال . . انه مملوء بالهواء  
.. اعنى ليس هناك شىء فى الداخل  
أى القلب . . وحين تشتد الريح فانه  
لن يضد أمامها . . انها قد تلقية فوق  
الارض ويتحطم . . وهكذا العبادة  
الظاهرة التى لا تتحول الى ارادة  
للسلوك ، قال الشيطان الفاضب :

قال الشيطان الفاضب : وهل  
استطعت ان تصرفهم عن ذلك ؟ .

قال الذى أوتى حظا كبيرا من ذكاء  
أبيه : أيها الزملاء من أبناء الجحيم . .  
اننى لم أصرفهم عن صلاتهم ، ولا عن  
صومهم ، لقد تركتهم يفعلون . .  
تركتمهم يأخذونها بظاهرها لا ينفذون  
من سطحها الى اللباب والهدف  
والجوهر ، انهم فقط يقومون ويقعدون  
.. وتتمتع السنتمهم بما لا تحاول أن  
تفقه قلوبهم ، ثم يجوعون فى صومهم  
ويعطشون ، ولا يصعد من ذلك الا  
أقل القليل ، وأما أكثر الكثير فالى  
مدارج الضياع ، اننى لم أصرفهم عن  
صومهم ولا عن صلاتهم لأنهم بأسلوبهم  
هذا لم يكونوا يحصلون منها على شىء  
.. ان النتائج دائما تدور حول  
الصفر . .

ونظر بعض الشياطين الى بعض  
وراحوا يتهايمسون : ان أخنا الذى  
نال جائزة التقدير لم يبذل شيئا من  
مجهود . . وقال بعضهم لبعض :  
كيف يمنحه ابليس الأكبر وسام  
التقدير ؟ أيقون زعيينا قد هرم  
وشاخ وهرمت معه أفكاره وشاخت  
عنده المقاييس . . ؟ ! فهو يخطئ خطئ  
عشواء ويعطى الجائزة لمن لا يستحق  
كما يفعل أكثر بنى البشر حين يعملون  
للسيطرة او المجاملة المحل الأول من  
موازينهم . . ؟ ترى أيقون هذا  
الابليس الصغير الجديد مرشحاً



زدنا شرحا .. فانه لا يصح أن تؤخذ  
جوائز التقدير لقمة سائفة سهلة  
بغير حساب .

قال الذى عنده علم البشر : لا بأس  
.. سوف أزيدكم شرحا وايضاحا ..  
ان الناس قد خلقوا على هذه الارض  
ليعمروها بالاسلوب الذى امرهم به  
ربهم وعلّمهم اياه الرسل .. وكل  
عمل تصح فيه النية المتزجة بالعلم  
تحت جناح العزم والارادة .. كل عمل  
لابن آدم تتوفر فيه هذه الأركان يكتب  
له فى سجلات اليمين .. ان هؤلاء  
الذين خلقوا من طين لازب قد فتحت  
أمامهم أبواب المعارج ، ومن حقهم أن  
يصعدوا الى صفوف الملائكة .. ان  
الطرق أمامهم مهدة بالعلم والمثابرة  
وارادة الصعود .. اصغوا الى  
جيدا لا يمكن أن يتم عمل ناجح بغير  
علم واردة .. اننى أحاول أن أبعدهم  
عما يدموهم اليه نبيهم الأعظم حين  
يحثهم على طلب المزيد من العلم ..  
ومع أنه قد أوتى العلم كله ، فقد أمر  
أن يطلب لنفسه المزيد ، ليكون المثل  
الأعلى الدائم لهم - اننى أحاول أن  
أصدهم عن هذا .. أزين لهم السطح  
الظاهر من الأشياء حتى يخلدوا اليه  
فى راحة ونوم لئلا ، كما يفعل مدخن  
الأميون ..

تالت الشياطين الحاقدة فى صوت  
واحد : ولكذك ذكرت أنك تركتهم  
يصلون .. لقد كنا نقصور أنك  
ستجعلهم يتركونها ..

قال : مهلا أيها الرفاق .. لقد  
تحدثت لكم عن الصور والتمائيل ..  
ان انسان القرن العشرين قد اخترع  
شيئا أسماه ( الروبوت ) أى الانسان  
الآلى ( الميكانيكى ) ولقد صنعوا هذا  
الانسان على صورة البشر ..  
ووضعوا فيه من الآلات ما يجعله  
يحرك إماها أو يرجع الى الخلف ،  
أو يصعد أو يهبط أو يطير ، كما  
استطاعوا أن يجعلوه يرفع يده حين  
يؤمر بذلك أو يخفض يمينه .. أو  
يضحك أو يبكى وان الذين صنعوا  
الصواريخ استطاعوا أن يغزوا بها  
الفضاء البعيد وأن يحركوا هذه  
الآلات من مسافة تبعد مئات الالوف  
أو الملايين من الاميال .. ان هؤلاء  
يستطيعون أن يجعلوا هذا ( الروبوت )  
أو الانسان الآلى ، يستطيعون أن  
يضعوا فيه من الأجهزة ما تجعله  
ينفض خمس مرات فى اليوم ليؤدى  
ما يشبه الصلاة .. وفى وسع هذه  
الآلات أن تجعله يصوم عن الوقود  
شهرًا كل عام ..

ان العلم يستطيع أن يفعل هذا وان  
يصنع مئات الالوف أو الملايين من  
هذه الأجهزة الميكانيكية التى على  
صورة الانسان .. وان تؤدى هذه  
المخلوقات الصناعية بدورها ما يسميه  
بعض الناس صلاة لهم .. امتثلون  
أنه يصبح من حق هذا ( الروبوت )  
أى الانسان الآلى أن يطالب بدخوله  
الجنة .. ؟

تبسم الشيطان الغاضب وصفق  
بيديه وصاح : أحسنت .. لقد  
نهبت .. قال الذى رشح للجائزة  
ان أكثرهم هكذا يفعلون - صلاة بلا  
روح - لا تهدي الى بر .. ولا تنير  
طريقا ولا تنقى قلبا .. ولا تشد عزما  
.. ولا تصل رحما .. مجرد حركات  
قد يبالغون فيها وهم يظنونها شيئا ،  
وهي ليست بشيء ، إن ( الروبوت )  
أو الانسان الميكانيكى له عذره ، لأنه  
لم يعد لهذه الغاية .. أما هؤلاء  
محسبى فخرا اننى استطعت أن أجعل  
أكثرهم هكذا .. صورا ولا شيء غير  
الصور .. هكذا أصبح أكثرهم الا  
الذين يحسنون وتقليل ما هم ..

\*\*\*

وحدث هياج بين الجموع ...  
وامتلا الجو بلفظ كبير ، قضى عليه  
ابليس بأن نفخ من فيه عاصفة  
من نار دعت الجميع الى الانصات  
وقال :

ولكن هناك الوف والوف من المنابر  
تقال عليها الخطب .. وهناك الوان  
من الثقافة يحرسون عليها ، فتحدث  
الى اخوانك عنها ، ان حفل الجائزة  
يجب أن يؤثر فيهم مزيدا من المعرفة .  
قال الذى سينال التقدير : إن  
أكثرهم يغرمون بكل ما يأتى من  
الغرب .. أن مثلهم كمثل العصفور  
الذى أراد أن يقلد الغراب .. أن

الغرب الآن يمر بفترة انهيار حتمى ..  
ان الثقافة الغربية ثقافة مريضة ..  
وهم يعرفون هذا ، ولكن ليس لديهم  
من شيء آخر يعطونه .. ذلك أن  
مناقد الشيء لا يعطيه .. هناك ثقافة  
هابطة تمجد الفردية .. والشذوذ  
.. وترفع من شأن الانحراف وهذه  
هي البضاعة التى يصدرونها ...  
لأنها تجد سوقا رائجة .. لقد  
سمعتهم أنهم يعلقون على بعض  
ثقافتهم اسم العبث .. أو اللامعقول  
.. وتدور فلسفتهم حول اللبذة  
والتماسها من كل سبيل .. والتحلل  
من القيم والمثل وهؤلاء الآخرون  
الذين نبتت من أرضهم القيم والمثل  
فأداروا لها ظهورهم .. هؤلاء الذين  
هم أكثر شبها ( بالروبوت ) يفعلون  
تأما كما فعلت العصافير حين طاب  
لها أن تقلد الغربان ..

قال قائل من الشياطين : أدرك  
تأما أنك عملت جاهدا على تثبيت  
هذا المعنى .. انك لم تدفعهم من فوق  
المنحدر .. وانما زيننت لهم حلاوة  
الهبوط الى الوادى المظلم ، الذى  
وضعت فيه بهارتك اللذات  
المفناطيسية .. ولكن الذين ينادون  
بالثقافة الهابطة أعنى العبث  
واللامعقول هم قلة من المثقفين ..

قال الفائز بالجائزة .. نعم ..  
ان الأمر لم يصل بعد الى حد الخطر  
الكبير .. ولكن المكروب قائم فى

نيل الجائزة .. ذلك أن أكثر من ثمانين  
فى المائة من أصحابى هؤلاء اميون ..  
لا يعرفون كيف يخطون على الورق  
خطا أو يقيمون من الأرقام الأولية  
حسابا .. لقد كنت أخشى أن يدركوا  
أن معنى الثقافة الحققة هو فى الدرجة  
الأولى المحو لهذه الامية .. ذلك  
واجب الفئة المثقفة ولكننى شغلت  
هؤلاء بأنفسهم .. وبالإسقاط ..  
وبالسينما العابثة .. وشغلت  
الأخرين بالمعبادة على طريقة  
( الروبوت ) الإنسان الآلى ،  
أنها عبادة ميتة لا روح فيها ولا أخشى  
منها شيئا لأنها لا ترفع صاحبها الى  
جنة السماء .. ولا تنقذه من جحيم  
الأرض ..

قال قائل من الشياطين : لقد علمنا  
ما يحدث ونحن نوثك أن نودع القرن  
العشرين .. حيث أصبحت مهمتنا  
سهلة مع بنى الإنسان حتى يستطيع  
ملك وهو يلهمو لاعبا متغلا بين  
الربوع أن يفال جائزة التقدير .

قال الشيطان الذكى الفائز : ايها  
الاخوة .. لم يعد الأمر سهلا كما  
تظنون .. لقد هب من بينهم من راح  
يدق النواقيس .. وهناك أضواء  
تتجمع فى الأبنى من بين الغمام ..  
تخذوها بنى نصيحة أخيرة .. عليكم  
أن تفتعلوا مزيدا من الضجيج حتى  
لا تفرغ دقات الأجراس أذان الذين  
ما زالوا قائمين .

الجو .. والحالات الفردية من  
الكوليرا تسمح بالانتشار البعيد ..  
أن أخشى ما أخشاه أن ينهض  
آخرون من الأبناء على المثل فيدقون  
الأجراس .. وهنا تبرز مهمتكم أنتم  
.. أما أنا فقد استطعت أن أغرى  
عددا كبيرا بأن يكونوا غربيين ولو لم  
يضعوا على رؤوسهم القبعات ...  
ليس شيء أشد ضللا من المرء حين  
يفقد ذاته .. أن صفحات كثير من  
كتبهم وصفهم تحتفى بما يسمى  
الوجودية .. والبرجائية .. أن  
أصحاب هذه المبادئ المستوردة لا  
يطيب للواحد منهم أن يكون تلميذا  
لأحد .. لكن يسعده أن يفتح قلبه  
لترهات البيركاي أو المعجوز سيمون  
بوفوار أو نحو ذلك من الذين يرون  
أن الحياة لا معنى لها .. وأنه يجب  
انتهاز فرصتها . لانتهاج اللذات ..  
أننى ايها الاخوة أبائى انفساق  
الملايين فى سبيل اقامة نواد لنشر  
هذه الفلسفات الهائطة .. أن كل  
كتاب منها خير من ألف شيطان ..  
أن الترهات التى تملأ المقول لا تدع  
مجالا لأتوار الكتاب الحكيم .. أنها  
مثل ثمار شجرة الزقوم ..

\*\*\*

صفق عدد كبير من الحاضرين ..  
وهبوا واثنين يحيون البطسل وهم  
يقولون : أننا نعترف لك بالبراعة .  
قال صاحبهم : شكرا لكم .. غير أن  
هناك ما هو أكثر اسعادا لنفسى من

# الدين والادب في الإسلام

## للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ - من الحقائق المسلمة التي تقع موقع البدهيات في العقول ، هي أن الأديان تعاني في هذا العصر أزمات حادة وأنها تقف موقفا حرجيا في الحياة بعد أن غلبت المادية على منازع التفكير الانساني ، وبعد أن أصبحت المحسوسات هي أساس التعامل في مجال الفكر ، كما هي أساس الأخذ والعطاء في مناهج النشاط الانساني المعصرى كله .

إن انسان العصر الحديث ، لا يقبل التعامل مع الغيبيات ، ولا يدخل إلى عقله شيئا لا تلمسه حواسه ، وتختبره ، وتطمئن إليه ، تمايا كما لا يدخل إلى جيبه شيئا من المال إلا اذا نظر فيه بعينه ، وتحرى سلامته ، وأطمأن الى ظنوه من الزيف .

فلا عجب - والأمر كذلك - أن تقف مقررات الأديان التي تتحدث عما وراء المحسوس ، من إيمان بالله واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجزاء والجنة والنار - لا عجب أن تقف هذه المقررات موقفا قلقا مضطربا ، في مجال العقل المادي ، الذي يطلب لكل مقولة من تلك المقولات الدينية شواهدا شخصيا بين يديه ، يسك به ، حتى يأذن المرء لعقله بالتعامل مع هذه المقولات وإلا أمضى عنها ، وصك أذنيه دونها . .

إن الدين الغالب اليوم ، وخاصة في العالم الغربي ، هو دين المادة ، التي تغل ثراها حاضرا معجلا . . ومن أجل هذا فقد زهد الناس في الأديان التي لا تعامل الانسان على هذا الأساس ، ولا تضع في يديه نقدا معجلا لكل حركة من حركات عقله ، أو جسده !!

٢ - والذي نريد أن نقوله هنا ، هو انه ينبغي على الذين ينتصرون للدين والذين لا يزالون في جماعة المتدينين أن يعرفوا هذه الحقيقة جيدا . وأن يواجهوا هذا الواقع ، مواجهة صريحة . .



وإن أول ما ينبغي أن يفعله أصحاب الدين في صراعهم مع الماديين والمحدثين . أن ينظروا في دينهم . وأن يكشفوا عن معانيه للحياة الدنيا ، إلى جانب معانيه للحياة الآخرة — فإن كان في الدين الذي يدينون به شيء ينفع الناس في دنياهم ، ويسد حاجات الجانب المادي منهم — كان لهم أن يفتقروا من الماديين والمحدثين موقف المنكرين عليهم عداوتهم للدين ، وبما نبتهم له ، إذ كان الدين ملجأ حاجتهم المادية ، حفيظا عليهم أن يفرقوا في تيارها المتدافع ، أو أن يحترقوا في ناراها المتضربة .. أما إذا لم يكن في الدين ما يستجيب — في غير حرج أو ضيق — لحاجة الإنسان المادية ، فليض أصحاب هذا الدين بدينهم ، ليعيشوا فيه وهدمهم ، وليتركوا الحياة تمضي في مسيرتها بالناس إلى حيث يشاءون !!

٣ — وبعبارة عن الآديان ، والمذاهب ، والمعتقدات ، ننظر إلى الإنسان من حيث طبيعته وفطرته ، نجد أنه كائن جمع كيانه النور والظلام ، والهدى والضلال ، والخير والشر ، والروح والجسد ، والإنسان والحيوان ، حيث التقت فيه نفخة الحق بتراب الأرض .. فهو سماوي أرضي ، يعلو ، ويصنو حتى يطاول السماء ، ويصاف الملائكة ، ويتدلى حتى يكون في قطع البهائم ، أو مسارب العيدان .. وهو في علوه وتدليه ، هو هذا الكائن الذي التقي فيه النقيضان ، فإذا علا إلى أقصى غيائه من العلو ، فإنه لا يزال مشدودا إلى الأرض ، أشبه بالطنائر المعلق في السماء ، وعينه ناظرة دائما إلى الأرض . وإذا تدلى الإنسان إلى أسفل سافلين ، فإن فيه بقية من أشواق إلى العظام العلوي الذي تكن أسراره في أعماقه .. فأحسن الناس حالا . وأعلام منزلة من سبت روحه على جسده ، فكانت إليها قيادة الإنسان ، روحا وجسدا فأخذت الروح حقها ، ولم تحرم الجسد حظه .. وأول الناس حالا ، وأضلهم

سببلا من كان جسده غالباً على روحه ، مستولياً عليها ، حيث تنقلب حقيقته ، وتتنكس خلقته ، ويصبح قياده إلى الحيوان الكائن فيه ..

هذه حقيقة مسلمة من مسلمات العلم لا يمكن أن يمارى فيها حتى أشد الماديين أغرافاً في المادية ، وأيماناً مطلقاً بها .. وإن أيا من هؤلاء الماديين ، مهما تكن المادة قد غطت على الجانب الإنساني منه ، وما في هذا الجانب من مشاعر العطف ، والرحمة ، والمودة ، والإخاء الإنساني — فإنه لا يعدم أبداً حالاً من الأحوال ، تهتز فيها مشاعره ، ويخفق لها قلبه ، ويتوهج منها ضميره ، وإذا هو خارج من عالمه المادى ، فيبكي كما يبكي الناس ، ويحب كما يحب الناس ، ويعطف ويرق كما يعطف الناس ويرقون .. أن ذلك هو بعض الدين الذى ينكره الماديون ، ويفرون منه وهو ساكن في أعماقهم !!

٤ — ولكن أى دين هذا الذى يقيم الإنسان هذا المقام الكريم المكين في هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ؟

لا شك أن الأديان السماوية ، المنزلة من عند الله الى عباد الله ، هي وحدها الكفيلة بشريعتها ، وأحكامها وآدابها — أن تضمن للإنسان حياة طيبة في الدنيا ، وخلوداً في جنات النعيم في الآخرة .. ذلك أن الذى شرع هذا الدين ، هو أحكم الحاكمين رب العالمين ، قدره بعلمه ، وأحكمه بحكمته ، مقدوراً بقدر الإنسان ، وما أودع فيه الخالق جل وعلا ، من غرائز وملكات فمن أخذ بدين الله ، أخذ بكل خير ، ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وهدى الى الحق ، وإلى صراط مستقيم .. ومن عدل عن دين الله ، وأتبع هواه ، غوى وضل ، وكان من الهالكين .

ه — والديانات السماوية التى يعيش فيها المدينون الآن ، هى : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .. ولو جرت الأمور على طبيعتها لكان أهل هذه الديانات الثلاث على دين واحد ، هو دين الله ، الذى جاء به رسل الله ، والذى أخذ الله به الميثاق على أنبيائه ، أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن ينصر بعضهم بعضاً ، وفى هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا** وأنا معكم من الشاهدين » ( ٨١ : آل عمران ) .. ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم : « **قُلْ آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى ، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » ( ٨٤ : آل عمران ) ويقول سبحانه لاتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — : « **قُولُوا آمَنَا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » ( ١٣٦ : البقرة ) .

هذا هو موقف المسلمين من رسالات السماء ، يؤمنون بها جميعها ، ويمصدقون برسل الله الذين جاءوا بها ، إذ كانت دعوتهم قائمة على أصول عامة من الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، تلك الأصول التى هى الدعامات الأولى لدعوة كل نبي — أما الفروع الخاصة بتنظيم

أوضاع المجتمع ، فقد كان من الطبيعي أن تختلف صورها وأشكالها حسب اختلاف الزمان والمكان ، والحال التي عليها كل مجتمع ، وذلك مراعاة لسنة التطور في الحياة ، وانتقال الإنسان من طور إلى طور ، كانتقاله من البداوة إلى سكنى المدن ، وما ينشأ في المدن من حضارة وعمران ، وما يجد في الحياة من وجوه مختلفة في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وما يقتضيه ذلك من تشريعات وأحكام ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليلوكم فيها آتاكم** » (٤٨) : المسائدة .

ولو أن أهل اليهودية والنصرانية استقبلوا على دين الله ، لكن الإسلام وجهتهم ، ولكنوا أول الداخلين فيه ، المؤيدين له ، لأنه دين الله المصدق لما معهم من كتاب الله ، ولكنهم أبوا إلا عنادا وضلالا ، لا يرون الدين الحق إلا دينهم وأنهم قد اقتصوا به دون الناس جميعا ..

أما اليهود ، فقد زين لهم الغرور أن الله تعالى خلقهم خلقا متميزا عن أبناء آدم جميعا ، وأنهم السبب المختار عند الله ، واليهوم وحدهم تنزل كتب الله ، وفيهم وحدهم تبعث رسله ، وأن الناس جميعا إنما خلقوا ليسخروا لهم كما تسخر الحيوانات للناس .. ولهذا فأنهم قد احتفظوا بنسبهم ، وعزلوا جنسهم عن بقية الأجناس الأخرى ، واحتفظوا بالدين الذي أنزله الله عليهم — احتفظوا به في محيطهم ، دون أن تكون لهم دعوة في الناس به ، لأنهم يرون الناس — دون بني إسرائيل — غير أهل للاتصال بالله ، وتلقى رسالته ، تماما كما نرى نحن ذلك الرأي في عالم الحيوان .. !!

ثم أنهم لكي يرضوا هذا الغرور الذي استبد بهم ، عبثوا بالتوراة ، وغيروا كثيرا من نصوصها ، وحرفوا الكلم فيها عن مواضعه ، حتى يتطابق منطوق التوراة ومفهومها مع مدعياتهم الباطلة التي يدعونها من أنهم شعب الله المختار ، حتى لقد أصبح هذا الادعاء دينا ومعتقدا ، يدينون به ويعتقدونه .

فالتوراة التي في أيدي اليهود ، والتي في أيدي المسيحيين أيضا ، لأنها كتاب الشريعة للنصارى ، كما أنها كتاب الشريعة لليهود ، إذ أن المسيح عليه السلام ، لم يأت بشريعة ، وإنما كانت شريعته ، وشريعة أتباعه هي شريعة موسى ، ولهذا يقول في الإنجيل التي في أيدي المسيحيين : « **ما جئت لأتقضى الناموس — أي شريعة موسى — وإنما جئت لأكمل** » .. فليس في الإنجيل الذي بشر به المسيح أحكام تشريعية ، وإنما كل ما فيه آداب وأخلاقيات هي تطبيق عملي لشريعة موسى ، وتفسير مشرق لمضمونها — نقول : إن التوراة التي في أيدي اليهود والمسيحيين ليست على الصورة الكريمة التي جاء بها موسى من عند الله ، إذ قد اختلطت بأهواء اليهود ومغرياتهم ، التي طمست معالم الحق والخير فيها ..

وإذا كان الناس في عمالة الجهل ، وتحت نشوة الحساس الديني — قد قبلوا ما في التوراة من متناقضات لا يقبلها عقل ، وسوغ لهم رجال الدين — بصورة أو بأخرى — أن يقرعوا في التوراة أن أنبياء الله يزنون في بناتهم ، ويخونون أبناءهم في زوجاتهم ، كما تقول التوراة المحرفة إن لوطا قد شرب

الخير حتى سكر ثم زنا فى ابنتيه وحبلنا منه ، وأن يعقوب زنا مع زوجة احد ابناؤه — ثم لا ينكرون نسبة هذا الفسق الى انبياء الله وحيلة رسالته الى الناس — نقول : اذا كان الناس قد دخل عليهم هذا الزور وهم فى عمية من الجهل ، فان العقول اليوم فى عصر العلم والتفوير لتصاب بصدمة مذهلة حين تقرأ فى كتاب سماوى مقدس مثل هذا الاستخفاف بالقيم الأخلاقية تكون من عمية الناس فضلا عن انبياء الله ، وحيلة مشاعل الهداية للناس .

وليس هذا كل ما فى التوراة من مفتريات على الله ، ينكرها العقلاء من الناس ، بل ان فى التوراة ما لا يحصى من امثال هذه المقولات بحيث لا يكاد يخلو سفر من اسفارها من عشرات المناقضات ، التى تخف بها موازين الحق ، والمعدل والاحسان ، حيث تستباح الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وحيث تضيع معانى المثل الفاضلة : والأخلاق الكريمة ، اذا كان ذلك لحساب بنى اسرائيل ، الذين يرون الناس حمى مستباحا لهم ، دون تخرج أو تأثم : « **فلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » ( ٧٥ : آل عمران ) . . والأميون هم الناس جميعا غير اليهود ، اهل الكتاب ، لأن الناس عند اليهود ، اما يهود ، أو أميون . . أما المسيحيون ، وهم اصحاب التوراة والانجيل ، فان فيها معهم من التوراة من مناقضات هو ما مع اليهود ، فضلا عن الانجيل وما فيه من حلول الله فى رحم مريم ، وولادته منها فى صورة المسيح . . ثم صلب هذا الإله فى شخصى المسيح ، ودفنه ، ثم قيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وظهوره لبعض حواربيه واتباعه ثم اختفاه بعد هذا . . !!

كل هذه المعتقدات التى يعتقدونها المسيحيون فى المسيح — عليه السلام — قد انكرها العقل فى هذا العصر ، بعد أن استنار بنور العلوم والمعارف . . وكان من هذا أن انتشرت فى أوروبا وأمريكا — حيث يدين الناس بالمسيحية انتشرت مذاهب الالحاد ، وخفت موازين الدين فى هذه المواطن ، وقام هذا الصراع الحاد بين مقولات العلماء ومقررات الدين ، واستمر هذا الصراع سنين طويلة ، انتهى بقصر العلم عن الدين ، بمعنى أن تكون مقولات العلم لحساب العلم ، ليس للدين شىء منها ، وإن تكون مقررات الدين لحساب الدين ليس للعلم شأن بها . .

٦ — ونصل الدين من العلم ، هو فى الواقع هروب بالدين عن منطقة النور ، التى تتجلى فيها حقائقه ، وتتكشف فيها جواهر تلك الحقائق . . ثم إن هذا القصر للدين عن العلم فى كيان الانسان أمر غير ممكن ، إذ الانسان كل لا يتجزأ فى مداركه ، ومشاعره ، ونوازمه ، وعواطفه . . وكل حقائق العلم التى تبلغها مدركات انسان ما لا يمكن أن تعيش بمعزل عن أية حقيقة ترد عليه من حقائق الدين ، أو الفن ، وغيرها . . فالعلم اما أن يقتل حقائق الدين ، وبهذا تدخل تلك الحقائق فى دائرة العلم ، واما أن يرفض حقائق الدين . وبذلك يخرجها من محيط العلم . . وهذا ما حدث فعلا فى العالم المسيحى ، فى أوروبا وأمريكا ، بعد أن رفض العلم ما تحدثت به الديانة المسيحية من مقولات عن ميلاد الله ميلادا بشريا فى المسيح ، وعن صلب الله فى المسيح ليكثر خطايا البشر التى ورثوها عن خطيئة أبيهم آدم . ثم عن قيامة المسيح أو الإله بعد





.. ويكفى تنويرها بالعلم ، وورعاً لقدره وقدر أهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه : عالم ، عليم ، وعلام .  
والقرآن الكريم هو جامعة العلم ، ومورد العلماء ، وإنه بحسب المرء من العلم أن يقبس قسبة من أضوائه ، فتكون له زادا عتيدا لكل علم ، ومنهلا طيبا الى كل معرفة .. ولهذا كثر الداخلون في الاسلام من علماء أوربا وأمريكا ممن أتبع لهم الاتصال بالشرعية الاسلامية ، وكتابها الكريم ، من غير دعوة لهم من أحد .. ففي كل يوم يدخل في الاسلام اعلام من علماء الغرب وحكمائهم ، لما ظهر لهم من الحق المنزل من عند الله .. ولو جرت الامور على ظاهرها لما امتد بصر أحد من هؤلاء الداخلين في الاسلام الى الاسلام ، لما صارت اليه حال المسلمين من التخلف ، والفقر والجهل ، الأمر الذي يشوش على الدين نفسه ، ويسوء الظن به ، اذ كان المسلمون — وتلك حالهم — هم الوجه الذي ينظر الناظرين فيه الى الاسلام من خلاله .. ولكنه الحق اكبر من أن تحجب أنواره سحب عارضة ، أو أن تطفئ سراجة أنفاس محبومة !!

٨ — أن هذا العصر ، عصر العلم والشك ، عصر الامتحان لكل شيء ، عصر غربة الأديان والمعتقدات ، وعرضها على محك العقل — هو عصر الاسلام ، وهو اللسان المجدد لدعوته ، حيث يجلى حقائق هذا الدين ، ويكشف عن الخير الكثير المخبوء للناس فيه ..

ولا يريد الاسلام من الناس أن يطلبوا دعوته قضية مسلمة ، دون بحث واختبار وتحقيق ، فان ذلك مما تأباه طبيعة هذا الدين ، الذي أراده الله تعالى ليكون خاتمة الرسالات السبائية ، وليكون من كتابه الكريم رسولا يلتقى مع العقل الانساني على امتداد الزمان والمكان ، حيث يجد فيه العقل في أعلى مستوياته الحجة القاطعة ، والبرهان المبين على كل مقولة يقولها ، وعلى كل قضية يقضى فيها ..

فالذي يريده الاسلام ، ونريده له ، هو أن يضع العلماء ، والفلاسفة والمفكرون — في الغرب والشرق — قضايا الاسلام كلها ، موضع الشك أو الإنكار — إن شاعوا — ثم ليعاملوها معاملة القضايا العلمية التي ينكرونها ، أو يشككون فيها ، وليسلطوا عليها نظراتهم باحثة فاحصة ، ثم ليقبلوها في أيديهم على جميع الوجوه الممكنة لهم ، وليتحنوها بكل ما فتح به العلم عليهم من أساليب الامتحان ، ثم ليحكموا بعد هذا على الاسلام بما يظهر لهم منه على محك الفحص والاختبار .. وان الاسلام ليتقبل هذا الحكم في اطمئنان ورضى ، لأنه لن يكون الاشهادة بينة الحجة ، ساطعة البرهان ، على أن هذا الدين ، هو دين الله ، دين الحق الذي أراده الله تعالى لخير الانسانية واسعادها .

ان العلم الحديث — كما قلنا — هو فرصة الاسلام التي تتجلى فيها معجزاته من جميع جوانبها ، العلمية ، والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية حيث يشهد العقل الحديث من النظر في حقائق الاسلام أنه أمام معجزات قاهرة ، ينقاد لها العقل ، انقياده لما ينكشف له من اسرار الكون ومعجزاته على ضوء العلم ، ومكتشفات العلماء .  
وهذا هو كتاب الاسلام ، وتلك هي حجته القاطعة ، ودستوره المسطور

فى القرآن الكريم .. انه يقدم نفسه لكل من يريد النظر فيه ، والتعرف اليه ، غير مستند الى تأويل المؤلفين ، أو تفسير المفسرين ، فلسانه أفصح من كل لسان ، وبيانه أوضح من كل بيان ..

فالذين يعرفون العربية ، يعرفون طريقهم اليه فى غير عناء ، ويضعون أيديهم على حقائقه فى يسر ، وفى غير معاناة .. والذين لا يعرفون العربية ، يمكن أن تترجم لهم حقائقه الى اللغات التى يحسنونها ، كما تترجم الحقائق العلمية ، والقضايا الاجتماعية ، والأحكام القانونية .. ثم لا عليهم أن ماتهم اعجاز الكلمة ، ومعجزة البيان فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم ، فان فى الحقائق التى تصل اليهم عن طريق الترجمة ما يكفى للكشف عن وجوه أخرى من الاعجاز القرآنى ، ممثلة فى محكم أحكامه وروعة حقائقه ، وخلود مقرراته ، وضبطها على أحكم ميزان وأعدل .

والاسلام — فى يسره ، وساحته ، ومواعيته للفطرة الانسانية — قريب من كل نفس ، متجاوب مع كل عقل ، واقع فى فهم كل ذى فهم .. تلقى عنده عقول المتعلمين والعلماء ، وتجتمع عليه انظار العامة والفلاسفة ، بحيث يجد فيه كل ذى عقل ما يرضيه ويفنيه ، ويأخذ منه كل ذى نظر ما يرشده ويهديه .. هكذا دائما تكون آيات الله المبثوثة فى هذا الوجود ، مما يمسك على الناس حياتهم ، ويحفظ وجودهم ، لا تقصر عنها يد ، ولا يستأثر بها انسان دون انسان أو تختص بها جماعة دون جماعة ، أو أمة دون أمة .. انها من الله ، ولعباد الله ، كما نرى ذلك فى السماء ، والهواء ، والشمس والقمر ، والنجوم .. فان كان لأحد ، أو لجماعة ، أو لأمة ، نصيب أوفر ، أو حظ أعظم ، من هذه النعم العامة ، فهو مما زاد عن الحاجة التى لا تتطلبها ضرورات الحياة ، وان كان فيها متعة فوق متعة ، ورضى فوق رضى : فصاحب النظر الحديد ، والقلب السليم يرى من جمال الوجود وروائع الكون ما لا يراه صاحب النظر الكليل أو القلب السقيم .

ومثل هذا تملاها موقف الناس جميعا بين يدى القرآن الكريم .. كلهم بين يديه مائدة طيبة ، طعابها هنئ لكل عقل ، وشرابها مرى سائغ لكل ذى قلب .. ثم هم مع ذلك على حظوظهم من تلك المائدة ، بقدر ما تتسع العقول وتنشرح الصدور ..

وتلك هى معجزة القرآن القائمة على الناس أبدا الدهر ، وتلك حجة الله على من أخلى عقله وقلبه من الدين ، أو دان بغير دين الحق ، دين الله الذى ارتضاء لعباده ، كما يقول سبحانه : « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » ( آل عمران ) .

٩ — والأمر الذى ينبغى أن ننتبه اليه فى هذا المقام ، هو أن رجال الدين المسيحي يدركون تماماً هذه الحقيقة من أمر الاسلام ، ويعلمون أن الذين يتركون المسيحية لا يجدون ديناً غير الاسلام يدينون به ، متى أتاحت لهم فرصة للتعرف عليه .. ولهذا استندت حملات المسيحية على الاسلام ، بالطمع فيه ، ومحاولة تشويه حقائقه ، حتى ينصرف الذين خرجوا من المسيحية عن الانبعاث الى الاسلام ، الذى ان اتجهوا اليه لم يولوا وجوههم عنه أبداً .. ومن هنا تحولت حركات التبشير بالدين المسيحى الى حملات حرب مسعورة على الاسلام ، فيما يكتبه المستشرقون من رجال الدين المسيحى ، يظاهرونهم فى

ذلك المستشرقون من اليهود ، لا لشيء إلا لازالة أى معلم من معالم الحق تعالى إليها الإنسانية ، وتستعصم بها . . ولا يسع المسلم فى هذا المقام ، وهو يتلو كتاب الله ، إلا أن يذكر قول الله تعالى فى سورة التوبة : « يريثون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ( الآية ٢٢ ) ثم يذكر بعدها قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ( الآية : ٣٣ ) .

ففى هاتين الآيتين الكريمتين نبأ من انباء الغيب ، قد أخذت دلائله تظهر فى هذا العصر ، وتحدث بأن تلك الأفواه التى تقذف بحجم الضلال ، وترسى بها فى حمى الإسلام ، لن تنال من دين الله شيئاً ، لأن الله سبحانه وتعالى يأبى إلا أن يتم نور هذا الدين ، على كره ومضاضة من الكافرين ، وأن تمام هذا النور إنما يكون بتمام دورته فى فلك الكوكب الأرضى ، فيطلع نهاره على الغرب ، كما طلع نهاره على الشرق ، فيبحو بنوره ما ران على القلوب من ضلال ، وما استولى على العقول من زيغ وبهتان ، فلا يبقى على وجه الأرض دين غير دين الله ، وبذلك تبلغ رسالة رسول الله كل دان وقاص ، وتنال الرحمة التى حملها بين يديه كل قريب وبعيد ، حتى تشمل العالمين جميعاً ، كما يقول سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ( ١٠٧ : الأنبياء ) .

وقد جاءت هذه البشارة بظهور الإسلام على الأديان كلها — جاءت فى سورة الصف ، وهى من القرآن المذنى أيضاً مؤكدة لما جاء فى سورة التوبة وهى من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدمى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ( الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩ ) .

ونحب هنا أن نشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه البخارى عن أبى هريرة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . » ومعنى هذا أن دولة الصليب ستنتهى ، وأن ما يؤمن به أتباع المسيح من صلب المسيح سينكشف الفطاء عن بهتانه ، وقد بدأ أتباع المسيح أنفسهم يكسرون الصليب بأيديهم ، ويخرجون من المسيحية قبل أن يظهر المسيح ، وليس وراء هذا الإلحاد الذى شاع فى أوروبا وأمريكا المسيحيين إلا الايمان الحق بالله ، والدخول فى الإسلام دين الله ، « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

١ . — هذا ، وقد استظهر بعض المشتغلين بالدراسات الإسلامية من علماء الإسلام (١) — استظهر من مسيرة الإسلام فى فلك النبوة ، والذى كانت دورته فيها ثلاثاً وعشرين سنة ، فى مكة ، والمدينة — أن للإسلام دورة فى فلك خارج فلك النبوة ، أكسبه بهذه الدورة التى دارها فى فلك النبوة ، وأن مدة هذه الدورة ثلاثة وعشرون قرناً ، أى أن كل سنة من عصر النبوة تمثل قرناً كاملاً من تلك الدورة الواقعة بعد عصر النبوة .

كما استظهر أيضا ، ان الثلاثة عشر عاما الاولى من بعثة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — والتي عاشتها الدعوة الاسلامية في دائرتها الضيقة في مكة ، تواجه الكيد لها ، والمكر بها ، والتضييق على اتباعها — هذه المدة تمثل الثلاثة عشر قرنا التي انسلخت بعد عصر النبوة من حياة الاسلام وأن الاسلام بعد هذه القرون الثلاثة عشر سينطلق من دائرته الضيقة ، كما انطلق بعد الثلاثة عشر عاما التي عاشها في المدينة ، والتي انتقل بعدها بالهجرة الى المدينة ، فكان النصر ، وكان الفتح : وكان دخول الناس في دين الله أفواجا ، وكما دانت الجزيرة العربية كلها خلال عشر السنوات التي بعد الهجرة ، ستدين الانسانية كلها بالاسلام ، خلال عشرة القرون التالية للثلاثة عشر قرنا التي انسلخت من مسيرة الاسلام . حيث يتحقق قوله تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » — كما تحقق قوله تعالى خلال عشر السنين الاخيرة من مبعث النبي — صلوات الله وسلامه عليه — اذ يقول سبحانه : « **اذا جاء نصر الله والفتح . ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » .

١١ — وبعد ، فهل يقعد بنا هذا الوعد الكريم من الله تعالى بنصر دينه ، وإظهاره على الدين كله — هل يقعد بنا ذلك عن أداء حق الله تعالى علينا نحو ديننا ، وما أوجبه جل شأنه على كل مسلم من الجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، والتضحية في سبيلها بالاموال والانفس ؟ إن ذلك إن يكن من المؤمن بالله ، فهو خيانة لله ، ولرسول الله ، ولدين الله . فما كان وعد الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين بالنصر لدينه ، بالذي ألقى عن الرسول الكريم وأتباعه عبء الجهاد في سبيل الله ، ولقاء المشركين في مواقع القتال ، وبذل الانفس والاموال في سبيل الله ، وابتغاء ثوبة الله ورضوانه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » ( ١٤٢ : آل عمران ) ويقول تبارك اسمه : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** » ( ٣١ : محمد ) .

فلابد إذن من بلاء وتمحيص ، لما في القلوب من ايمان بالله ، يكون محكه الفيرة على دين الله ، والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبذل النفوس والاموال في هذا الجهاد المبرور ، وبذلك الامتحان تثقل موازين العاملين المجاهدين ، وتنف موازين السافلين ، والمتكاسلين : « **فاما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضية . واما من خفت موازينه . فاما هالوية . وما أدراك ما هي . نار حامية** » ( ٦ — ١١ : القارة ) .

وهذا ميدان الجهاد مفتوح لكل مسلم ، يدخله من أي باب ، بما له ، أو بنفسه ، وببيده ، أو لسانه ، أو قلبه ، « **فمن نكث فإثمها ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** » ( ١٠ : الفتح ) .

(١) هو المرحوم الأستاذ محمد نوري وجدى ، في كتابه : « الاسلام في عصر العلم » .



# اليهود وثأرهم في حياة الرسول ﷺ

الدكتور محمود محمد زيانة

## اليهود وجمع الأحزاب :

كانت قريش وكان يهود وكان يهود بنى تينقاع ويهود بنى النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل واحدة منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة منها أن تجد الفرصة لأدراك ثأرها من هذا الرجل الذي فرق المصرب في دينها شيما ، والذي خرج من مكة مهاجرا لا حول له ولا قوة الا ما يملأ نفسه الكبيرة من الايمان وها هو ذا في خمس سنين قد أصبح له من الحول والقوة ما جعله مرهوب الجانبان فانتصر على كثير من قبائل العرب وأخرج بنى تينقاع من المدينة ،

وأجلى بنى النضير عن ديارهم ، وذهب كثير من هؤلاء هؤلاء الى خيبر والشام ، فهل يستطيعون الى ما حدث ؟ أم يحاولون تاليب العرب عليه لياخذوا بالثأر منه .. ؟

كانت الفكرة الثانية هي التي اختبرت في نفوس اكابر بنى النضير وتنفيذا لها خرج نفر منهم ، ومن بينهم حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، ومعه من بنى وائل هوزة بن قيس ، وساروا حتى قدموا مكة ، فسأل أهلها حبيبا عن قومه ، فقال : تركهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى

تأتوهم فتمسرون الى محيد واصحابه  
 .. وسالوه عن قريظة فقالوا : اتاكموا  
 بالمدينة مكرًا بمحمد حتى تاتوهم  
 فمبيلوا مكم : وترددت قريش  
 اتقدم ؟ ام تحجم ؟ فليس بينها وبين  
 محمد خلاف الا على الدعوة التي  
 يدعوها ، اليس من الجائر ان يكون  
 على حق ما دامت كلمته تزداد كل  
 يوم رفعة وسما .. ؟

فالت لليهود : يا معشر يهود  
 انكم اهل الكتاب الاول واهل العلم  
 بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد .  
 اقدينا خير ام دينه ؟ فاجاب اليهود :  
 بل دينكم خير من دينه ، واتم اولى  
 بالحق منه : والى ذلك يشير القرآن  
 الكريم في قوله تعالى « ألم تر الى  
 الذين اوتوا نصيبا من الكتاب  
 يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون  
 للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين  
 آمنوا سبيلا » .

فكان قول اليهود هذا من الدواعي  
 لقريش على الترحيب بالمخالفة ثم  
 خرج الوند اليهودي من مكة قاصدا  
 ديار غطفان وهي قبيلة حربية لها  
 خطرهما في صحراء بلاد العرب وتقع  
 على بعد ١٢٠ كم الى الشمال  
 الغربي من المدينة . وقد انضم الى  
 هذا الحلف قبائل اخرى من العرب .  
 وبذلك بلغت قوات قريش وحلفائها  
 عشرة آلاف محارب فصاروا جيما  
 تحت امرة ابي سفيان قاصدين  
 المدينة ، ويستشير الرسول اصحابه  
 في الدفاع عن المدينة ويستقر الرأي  
 على حفر الخندق في الجهة الشمالية  
 من المدينة لان الجهات الاخرى كانت  
 محصنة بالثلال والنخيل والبيوت  
 المتراسة . وديار بني قريظة مفروكة  
 لحراسة قوة خفيفة متحركة ، وينتهي

المسلمون من حفر الخندق وتصل  
 قريش الى خارج المدينة في جموع  
 كثيرة من احابيشها واحلافها ،  
 وجموع تأتي من اسفل المسلمين وهم  
 قريش ومن جاء معهم وجموع اخرى  
 تأتي من فوقهم وهم اهل نجد من حلفاء  
 قريش وجلم من غطفان ورات هذه  
 الجموع الخندق ، فاعتزتهم الدهشة ،  
 وداخلهم الاضطراب لعدم معرفتهم  
 بوسائل القتال أمام الخنادق ، ولم  
 يكونوا يتوقعون هذا النوع من الدفاع  
 المجهول لديهم ، وبلغ منهم الفيلظ حتى  
 زعموا ان الاحتيا وراء الخندق  
 جبن لا عهد للعرب به وبدا رماة  
 المسلمين يطلقون عليهم من خلفه  
 سهامهم الفتاكة فانسحبوا سريرا ،  
 واخذوا يسبون صفوفهم على مسافة  
 آمنة من رمى السهام والنبال  
 واستمر الجيشان يرتب كل منهما  
 الآخر لأيام قليلة ندد فيها صبر ابي  
 سفيان الذي كان يعتقد ان محق  
 المسلمين ما هو الا رهن لقائهم في  
 المعركة . وكان قد وعد حلفاءه  
 بالغانم السريعة السهلة ثم يعودون  
 ادراجهم يتغنون بأنائيد الفوز ثم  
 تبين له ان الامر مختلف تمام  
 الاختلاف ، وانه يحتاج الى وقت  
 طويل لا يؤمن معه ان تفكر بعض  
 القبائل في ترك القتال والمعودة  
 ولاسيما والشتاء قارس البرد واهل  
 المدينة يكتهم المقاومة شهورا طويلة  
 ما دام بنو قريظة يحنونهم بالؤن ،  
 فكر ابو سفيان في كل هذا وبدا يقرر  
 من الخير للأحزاب ان يمدودوا  
 ادراجهم ويتركوا الامر لفرصة  
 اخرى .. ؟

نعم لكن جمع هؤلاء الاحزاب  
 لحرب محمد ليس بالأمر الميسور ،  
 وقد استطاع اليهود وحبي بن أخطب

على رأسهم أن يجمعوها هذه المرة للانتقام لأنفسهم من محمد وأصحابه مما أوقع بهم . فان أفلتت هذه الفرصة مهيبت ان تعود . ثم لا شك ان انسحاب الاحزاب انقصار لمحمد ، وبعد ذلك الويل كل الويل لليهود ، ولو ان بنى قريظة نقضوا عهدهم مع المسلمين لفقد الخندق قوته في الدفاع من ناحية ولانقطاع المدد والميرة من ناحية اخرى وكما قدر أبو سفيان ذلك كله قدره أيضا حيي ابن اخطب ، فتلقت الفكرتان ولوحى حيي الى الاحزاب انه يتفق بنى قريظة بنقض عهد موادعتهم محمدا وأصحابه وبالنظر أمام الهم . وسرى عن الاحزاب بما ذكر حيي .

#### قامر بنى قريظة :

وبدأت الحادثات تجري سرا بين ( حيي ) وكعب بن أسد ، صاحبها حصن بنى قريظة وانتهت بعد حوار الى الموافقة على انسحابه الى الاحزاب ونقض عهده مع محبيهم والمسلمين على ان تحول الاحزاب قريظة عشرة ايام تعد فيها عهدها وتتخلص من مهودها مع المسلمين وعلى ان تقاتل الاحزاب المسلمين في هذه الايام العشرة اشبه القتال ، ووصلت انباء هذه الاتفاقية الى الرسول فبعث ( سعد بن معاذ ) سيد الأوس ، و ( سعد بن عباد ) سيد الخزرج ومعهما ( عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ) ليتفوا على جليلة الأمر على أن يلحقوا عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يقتوا في اعداء الناس ، فلما اتى هؤلاء الرسل قريظة وجدها على اخيت ما بلغهم عنها ، فقد نال كعب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من

رسول الله : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . وحدثت مشادة بين بنى قريظة وسعد بن معاذ ، ثم رجع الرسل الى النبي فسلموا عليه ، وقالوا : عضل والقارة — أى كافر عضل والقارة بأصحاب الرجيع — لماشد الأمر على الرسول واشدد الوجل على المسلمين ، وزلزلوا زلزلا شديدا لأن العدو جاءهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

ولا غربة أن يبلغ الفرع من المسلمين مبلغا عظيما ، فقد كان الحصار شديدا عليهم ، فقد صاحبه ضيق على مقرء المدينة ، وقطعت قريظة المدد والميرة عن المسلمين عامة منذ تم اتفاقها مع الاحزاب : والاحزاب نفسها قد استعدت للقتال حسب الاتفاق أيضا . وقريظة مما قريب تدخل الميدان ، والمنافعون يجهرون بما يريسون . فليشد قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن ناكل كتوز كسرى وقيصر واحدا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وقال بعضهم الآخر لرسول الله : ان بيوتنا حورة من الصدو فائقن لنا أن نخرج فنرجع الى دورنا فانها خارج المدينة ..

ويضاف الى ما سبق الخطر الداهم الذى يهددهم به عبد الله بن أبى ذلك الشيطان الرجيم الذى انسحب يوم أحد بثلاث الفأس من صفوف المسلمين فانه كان قد أعد العدة لطعن المسلمين من الخلف واشعل ثورة في المدينة من عناصر المنافقين فكان من الضروري حماية قلب المدينة نفسها بما فيها من نساء المسلمين واطفالهم : فأرسل النبي



فرقة من الجيش عددها ثلثمائة التي داخل المدينة . وظلت جنود تلك الفرقة تغزو وتروح في شوارعها ليسبلا ونهارا

وبدا أبو سفيان القتال تنفيسا لآلامه مع بني قريظة ، واستمر يشن الغارة على الخندق ليلا ونهارا حتى تسمرت الأيام العشرة ، وظهرت بوادر غدر بني قريظة خلال هذه الأيام العشرة ، فقد بدأ التحصين منهم ينزلون من حصونهم إلى منازل المدينة القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها وخشي الرسول أن يجعل القرظيون بالغدر ، فيزحفون على المدينة ، ويفتحون ثغرة من الجيوب حيث حصونهم ليتدفق الأحزاب منها إلى المدينة ، ويصبح المسلمون على ما هم فيه بين عدوين ، واتقاء لهذا وما يترتب عليه فكر في محاربة قريش بنفس الوسيلة التي استخدمتها قريش في استيصال بني قريظة حتى يفرق الأحزاب ، فأرسل إلى ميثبة بن حصن الغزاري والحارث بن عوف امرئ قائدي جيش غطفان فراوضهما أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة . على أن ينصرا بجيوش غطفان لغيره ، ولكنه قبل أن يبرم الأمر أرسل إلى المسعودي ( سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ) لمستشارهما فيها رأى ، وعرضا من الرسول أن هذا أمر يصنع لهم ، فلم يقبل ، وأعجب الناس بحساس الانتصار ، وفوض أمره لربه اللطيف بعباده الخبير لأمرهم ، فقد جاء في هذا الوقت ( نعيم بن مسعود الأشجعي ) وهو صديق قريش واليهود ، ومن غطفان إلى رسول الله ، وأعلمه بأسلافه وأن قومه لا يطلبون بذلك ، ويطلب منه أن يأمره بأمر يساعد على انتصار

المسلمين فيقول له الرسول : « فقل عفا ما أبسطت لمن الحرب ضده » فيقوم بجهار عظيم لصالح المسلمين ، فيلصق قريشا بأن اليهود سيطلبون منهم رهائن يقتسمونها إلى محمد ليعفو عنهم ، ويقتسمهم اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل دخولهم المعركة المشتركة ضد المسلمين . . حتى يقتسموها بقاء قريش معهم ، ويحدث ارتباط مصيري وطلب من كل طرف أن يكتم هذا الأمر ، وقد جازت الخدعة نعيمنا طلب أبو سفيان من يهود بني قريظة دخول المعركة طلبوا رهائن ، فاعتقدت قريش وأمنت أن ما قاله نعيم صحيح ، فابتعدت ، وغفل التحالف . ثم كان نصر الله بإرسال الرياح العاصفة كل المعصف . . الباردة أشد ما يكون البرد . . المبرقعة ليزيرا . أطفأت نيرانهم ، وأكفأت قلوبهم على أسسائها ، وأتلفت خيلهم ، وأفسدت طعامهم ، وأجفلت دوابهم ، فادخلت الرعب في قلوبهم ، فارتطوا غارين ليلا وكفى الله المؤمنين القتال ، وأقبل الصباح وتظر المسلمون إلى الجانب الآخر من الخندق فلم يجدوا من الآلاف أحدا فانسحبوا إلى مخازنهم . . راضعين أكل الضراعة إلى الله شكرا أن كشف الشر عنهم .

### غزو بني قريظة :

لقد خان بنو قريظة العهد خيانة ما بعدها خيسة ، وظهر عداؤهم للمسلمين بصورة بشعة ، كانوا يريدون استئصال شاة المسلمين . فلا بد من حسابهم حسابا صبرا على ما ارتكبوا من جنائيات ، ولا بد أيضا من الإسراع حتى لا يقوموا بعمل إجرامي من تدمير لإيار السماء ،

سعد - لأنه كان جريحا - ويأخذ  
المهد على الطرفين بقبول الحكم .

فماذا حكم سعد . . ؟ حكم بقتل  
المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ،  
وقسم الأموال . فقال الرسول عقب  
الحكم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من  
فوق سبعة أرقعة .

ثم خرج الرسول الى سوق المدينة  
وامر بحفر خنادق فيها ، ثم جاءه  
باليهود ارسالا فصرخت اعناقهم ،  
وفيهم حبي بن أخطب من بني النضير  
لأنه كان معهم وقت الموقعة وفي  
عنقه دمهم ، وفي هذه الخنادق  
دفنوا ، وكان عدد القتلى ما بين  
أربعمائة الى ستمائة في اصح  
الروايات . فان بعضها تقول كانوا  
بين الستمائة والتسمائة ، ويبدو  
لنا أن هذه الرواية تذكر عددهم  
جميعا لأن القتل لم يعمهم جميعا .

كما هو ظاهر قوله تعالى : « وأنزل  
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » كما  
الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من  
صياصيههم وقتل في قلوبهم الرعب  
ان عددا قليلا منهم أسلم .

وقد وزع الرسول أرض بني  
قريظة على المسلمين .

### الجريمة والجزاء :

لم يكن بنو قريظة يتوقعون هذا  
الحكم من سعد حليفهم ، بل كانوا  
يظنون أنه سيصنع معهم مثل ما صنع  
ابن أبي مع بنى قينقاع أو مثل الحكم  
على بني النضير ، ولكن شتان بين

وما شاكل ذلك ، وهذا ما كان من  
الرسول عليه الصلاة والسلام ،  
فقد جاءه الوحي يأمره بالقضاء على  
بنى قريظة حتى يطهر دار الاسلام  
من قوم جبلوا على الخيانة والفدر  
فلا تنفع معهم المهود ، ولا تريطهم  
المواثيق ، فأمر عليه السلام مناديا  
فنادى في الناس : من كان سائما  
مطيعا فلا يصلين العصر الا في  
بنى قريظة .

ومع ما كان عليه المسلمون من  
نصب . بعد طول حصار الأحزاب  
فقد خفوا لهذا القتال مخرج ثلاثة  
آلاف ، وتوجهوا الى حصون بنى  
قريظة في الجنوب الشرقي من  
المدينة ، وحين رأى بنو قريظة جيش  
المسلمينلقى الله الرعب في  
قلوبهم ، وأرادوا التصل مما فعلوا ،  
ولكن أتى لهم ذلك ؟ وقد ثبت  
للمسلمين غدرهم ، فلا مناص من  
مقاتلتهم ، فأسرعوا بإغلاق حصونهم  
عليهم ، فحاصرهم المسلمون ، وقد  
ظل هذا الحصار خمسة وعشرين  
يوما أو شهرا ولم يجرؤ بنو قريظة  
خلال مدة الحصار على الخروج من  
الحصون مرة واحدة ، وأيقنوا أنه  
إذا استمر الحصار أكثر من ذلك  
سيموتون جوعا وإن حصونهم غير  
ما نعمتهم من الهلاك شيئا . بل لا بد  
من وقوعهم في قبضة المسلمين ،  
وحينئذ يعرضون على الرسول الجلاء  
واللحاق بلخوانهم فيأبى الرسول الا  
التسليم دون قيد أو شرط . ولا بد  
من الرضا بما يحكم به عليهم ،  
فاختاروا ( سعد بن معاذ ) زعيم  
الأوس وحليفهم قبل الاسلام ، فحمل

عليه وسلم الا متغذا ، فأمر يقتل  
المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ،  
وقسم الاموال ، وأورث الله المسلمين  
أرضهم وديارهم ففسلوا جزاءهم  
وشربوا الكأس المرة . كما تجرمها  
فى الوقت نفسه اخوانهم بالشام من  
يد ( هرقل ) بعد غلبته ( كسرى ) من  
جاء ما مقلوه بنصارى الشام حينما  
كان الظفر لفارس .

وايا ما كان الامر فقد ظهرت  
قاعدة الاسلام ( المدينة ) من الخطر  
اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء  
من منطقة قلب المدينة ، وعلى نقطة  
حاکمة فى الجنوب الشرقى . وأراح  
الله المسلمين من شر مجاورة اليهود  
الذين تمعدوا الغدر والخيانة ، ولم  
يبق الا بقية من كبارهم بخيبر من  
أهلها ، وعما قريب يشربون الكأس  
حتى الثمالة .

وولد القضاء على طوائف اليهود  
الثلاث للمسلمين فى المدينة فقد  
كسرت شوكة المنافقين حلفاء اليهود  
وخفت حدتهم ، وقتل خطرهم ، ولم  
يعد فى المدينة قوة غير قوة المسلمين ،  
وذهبت العرب تتحدث بقوة المسلمين  
وسلطاتهم وقوة محمد ورهبة جانبه ،  
فبهذا هذا لنشر الدعوة الاسلامية  
على اوسع نطاق ومهد للقضاء على  
اليهود الذين يقيمون قرب المدينة .

حتى تظهر بلاد العرب من رجسهم ،  
وتستقر الدولة الاسلامية ، فكان غزو  
خيبر ، وذلك ، ونهيا وادى  
القرى ..

على خير ..

الرجلين وبين الموقنين ، فسمعت قد  
ذهب الى بنى قريظة ليثنيهم عن  
موقفهم فى غزوة الاحزاب — كما سبق  
لنا ذلك — فقالوا : من الرسول ؟  
أمامه ، ويضاف الى ذلك أن جريمتهم  
تختلف عن جريمة كل من بنى قينقاع ،  
وبنى النضير ، وان كانت كلها جرائم  
غدر وخيانة . فغير أن جريمة بنى  
قريظة كانت اشد خطرا واعظم فتكا  
من الجريمتين السابقتين . لأن  
المسلمين كانوا فى كل منهما فى حالة  
يتكهن من الدفاع عن انفسهم . أما  
موقفهم وقت جريمة بنى قريظة ، فقد  
كان يحتملوا بالخطر من جراء الحصار  
المحكم الذى ضربه الاحزاب حول  
المدينة ، فلم يكن فى امكانهم الدفاع  
عن انفسهم .

ولعل سمدا ذكر وقت نطقه  
بالحكم . ماذا كان يحدث . لو أن  
الاحزاب انتصروا بخيانة بنى قريظة ؟  
فقد أنهم كانوا سيسلمون  
المسلمين ويمثلون بهم فان سمدا  
حليفهم ويعرف طبيعتهم ، وما جبلوا  
عليه من غدر وخيانة وأمر وخلق  
ردى ، فيؤمن بأنه لو أبقى على  
حياتهم لا يهدأ لهم بال حتى يؤلبوا  
الاحزاب من جديد ضد المسلمين ،  
ولو ظفروا بهم لقطعوهم اربا اربا .  
فالحكم الذى أصدره سمدا على  
قسوته انها أصدره متأثرا بالدفاع عن  
النفس معتبرا بقاء اليهود  
زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة  
للمسلمين فهو حكم تقرر قوانين  
الحرب ، وقوانين السلم ولا عجب  
فهو حكم السماء الهمة الله لمحمد .

ولم يكن رسول الله صلى الله

# النافذة الخارجية

## الزهرانيون

روى أبو إسماعيل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
اقرعوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فإلهما يأتیان يوم القيامة  
كأنهما غيابتان أو غلبتان أو مرققان من ظهر صواحه . اقرعوا البقرة فإن  
أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

رواه مسلم

## عبد إلى ظلك

بينما عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فى أرض له ، فى المالية ، فى يوم  
صائفه اذ رأى رجلاً يسوق جملين ، وعلى الأرض مثل الفرائس من الحر !! ..  
فقال عثمان : ما على هذا لو أقام بالدينية حتى يبرد ثم يخرج هينئذ ؟ .. ثم دنا  
الرجل ، فقال عثمان لمولى له : أنظر من هذا ؟ .. فقال : لرى رجلاً مصعباً بردائه  
يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : أنظر من هذا ؟ .. فنظر .. فإذا هو عمر  
ابن الخطاب .. فقال : هذا أمير المؤمنين ! فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ،  
ماذا لفح السيوم !! .. فأعاد رأسه ، حتى اذا حاذاه قال : ما أخرجك فى هذه  
الساعة ؟ فقال : بكران من ابل الصدقة خلفا ، وقد ضعى بابل الصهقة ، فأردت  
أن أحققا بالعمى — المرعى — وخشيت أن يضيما نبيسانى الله عنهما !! ..  
فقال عثمان : علم إلى الظل والماء ونكتيك ! .. قال : عد إلى ظلك قال عندنا من  
يكليك ! .. قال : عد إلى ظلك !! ومضى ..  
فقال عثمان : ( من أحب أن ينظر إلى القوى الآمين فليُنظر إلى هذا !! ) .

## جهد الطمس

استقدم المدفون السياسي الفرنسي الشيخ عبد الصبب الجزائري وقال له : أما إن  
قطع من تلقين تلكك هذه الامتكار وألا أرسلت جنودا لافلاق المسجد الذى تشمت فيه هذه  
المسوم ضحنا وأخذ أصواتكم المنكرة .

فاجاب الشيخ عبد الصبب : أيها المسيرو الحاكم أنك لا تستطيع ذلك ..  
لنستفيد منها وقال : كيف لا يستطيع ؟

فقال له : اذا كنت فى عرس طليت المحتفلين ، واذا كنت فى مأتم ومظت المزين ،  
وان طليت فى قطار طليت المسكرين وان طليت المسجن ارتدت المسجونين ، وان طلمسونى  
الجهت محاسن المواطنين ، وخير لكم أيها المسيو أن لا تتمرصوا للآلة فى هيلما ولنفتها .

( وجابوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم  
 ايها فصير جهيل والله المستعان على ما تصفون )



سورة يوسف

### التسبيح أو الاستغفار

قال رجل للامام ابن الجوزي :  
 استبح او استغفر ؟  
 فقال : التوب الوسخ اصبح الى المسلمين هذه الى البهيم .

### مع الامام الشافعي

لما قدم الشافعي مصر قال له عبد الله بن الحكم :  
 اذا اردت ان تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجنس من السلطان  
 لتسز به .  
 فقال له الشافعي :  
 يا ابا محمد من لم تحزه التقوى فلا عز له .. ولقد ولعت بغزة وريث  
 بالحجاز ، وما منعنا قوت ليلة ، وما بنا جياما قط .

### ابو الطاهية وطايعه

عرف ابو الطاهية بالخل والتكس ، وتكره الخراف .  
 يقول ابو العرج عن الخرمي : ( كان لابي الطاهية حشم اسود طويل  
 كانه من ذلك اللون ، وكان يجري عليه في كل يوم ريحيس ، فهاهي الضام  
 يوما ، فقال : والله ما تسبح ، فظف ويكف ذلك ؟ قال : لا ، لا افتر خير  
 الكد وهو يجري علي ريحيس فصر اذام قال رايت ان تكفه علي ريحيس  
 رقبا طوهر . فوعده بذلك فلما هلست معه من الضام بنا ، فقلت : يا  
 ابا اسحاق . كم يجري علي هذا الخلم في كل يوم قال : ريحيس . فقلت :  
 لا تكفاه . قال : بل لم يكف القليل لم يكف الكثير . وكل من احسن نصي  
 كسهراته علك .  
 ثم مات الشافعي فكنه في قوت قلبي ، فقلت : خيلام فقيم للكرمة  
 طويل الخدمة بكفه في ازار قلبي ، وانما تكفك له كمن يعشار . فقال  
 انه يصير الي النبي والهي اولي بالجد من الميت . فكنه له . فركب الله  
 معه عودته الاصل حيا وميتا .

# المفاوضات بين العرب إبان فتوح الشام في ضوء ماورد

للاستاذ احسان صدقي العميد

غيايب حمل أى من تلك الاطراف  
لمقيدة سابية أو مذهب صالح  
يسعون لنشره والانتصار له .

## الاسلام والجهاد في سبيله :

واستمر الحال على هذا المنوال  
حتى ظهر الاسلام في جزيرة العرب ،  
وقضت حكمة الله عز وجل ان تكون  
الامة العربية طليعة المؤمنين بالدين  
الجديد والمكلفة بتبليغ رسالته الى امم  
الارض وشعوبها . فكان ابناءها خير  
امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر . وقد اختط الله  
لهذه الامة طريق الجهاد في سبيل  
الله وأمرهم بزالة الحواجز والقوى  
المعادية التي تقف في وجه انتشار  
دعوة الاسلام ووصولها بحرية وسلام  
الى عقول الناس واثبتهم كما نص  
على ذلك العديد من الآيات البينات  
ويخاطبة في سورة التوبة .  
وحياة الرسول صلى الله عليه

عرف العرب في تاريخهم قبل  
الاسلام نماذج مختلفة من العلاقات  
والاتصالات سواء فيها بينهم داخل  
الجزيرة العربية ، أو بينهم وبين الدول  
والشعوب المجاورة لجزيرتهم ، وكان  
يحكم هذه العلاقات بصفة عامة عوامل  
اقتصادية سياسية كما هو الحال  
بالنسبة لنظام الايلاف الذي وطدته  
تريش وأمنت بموجبه الطرق التجارية  
داخل الجزيرة وحرية التبادل التجاري  
والاقتصادي مع الاقطار المجاورة ،  
وما كان من تحالف سياسى معروف  
بين مناذرة الحيرة والفرس من جهة  
والفساسنة والروم من جهة  
أخرى .

لكن جوهر تلك العلاقات وهدفها  
كان في المقام الاول تحقيق المنافع  
المادية والمصالح المشتركة بين  
الاطراف المعنية دون النظر الى أى  
اعتبار آخر ، وهو أمر طبيعى في

# المسلميت والروم في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي

الجهاد ونشر الرسالة الاسلامية وذلك بالدعوة الى سبيل الله اولا بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما يعرف بالدعوة السلمية ، فاذا لم يستجب اهل الكفر لهذه الدعوة كان عليهم ان يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما فاما الحرب والقتال ، واما القبول بحكم الاسلام حتى يتسنى للكافرين ان يتصلوا بالمسلمين اتصالا مباشرا في حرية ويتعرفوا منهم على دينهم واخلاقتهم ومعاملاتهم . فاذا تم لهم ذلك انشرح صدورهم للاسلام ودخلوا في دين الله افواجا دون جبر او اكراه ، لان الاسلام دين الفطرة يقبله ويقبل عليه كل صاحب عقل منزه عن التعصب والهوى .

وعلى هذا الهدى وهذه المبادئ وليس غيرها خرجت طلائع جيوش العرب المسلمين للجهاد والفتح . وقراءة متأنية في المصادر والاصول

وسلم كلها كانت جهادا في سبيل الله، وكان آخر عمل قام به من اجل هذه الغاية ، هو تجهيز جيش عربي اسلامي لفتح بلاد الروم التي تم فتحها في عهد خليفتيه ابي بكر وعمر . ذلك ان الاسلام حدد موقفه بشكل واضح وصريح من جميع اقطار الارض وشعوبها . فهو يرى ان الارض ملك لله الذي استخلف عليها الناس ، وان احق من يمتلك هذه الارض عباده الصالحون . ووفقا لهذه النظرية ينقسم العالم كله في نظر الاسلام الى منطقتين او دارين كسا يذهب الفقهاء دار اسلام ودار كفر او دار سلام ودار حرب . لان المنطقة التي يظلمها الاسلام هي دار السلام ، والتي يسيطر عليها الكفر انما هي دار حرب ينبغي على المسلمين مجاهدة أهلها حتى يدخلوا في ظلال الاسلام . ولم يكف الاسلام بذلك بل حدد طريقة

## بدء المفاوضات بين المسلمين والروم :

ويهمنا في هذا المقال روايات انفراد صاحب الكتاب بذكرها حول مفاوضات جرت بين المسلمين والروم ابان فتوح الشام . ذلك ان ابا عبيدة عاصم بن الجراح قائد جيوش المسلمين التي توجهت الى بلاد الشام ، اراد قبل ان يباشر الروم وحلفائهم من العرب الفساسنة القتال . ان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ويقيم الحجة عليهم فارسل اليهم بعثة سلام وهداية برئاسة هشام بن العاص شقيق عمرو ابن العاص ضمت جماعة من المسلمين من اهل الدين والحسب . ويصور لنا ابن اعثم لغاء البعثة اول الامر بجيلة بن الایهم زعيم الفساسنة الذي كان يهسكر في اربعين الفا من العرب المختصرة في غوطة دمشق ، فيقول ان افراد البعثة المسلمين « دخلوا عليه في مجلس له مزخرف وعلى يمينه كراسي الذهب والفضة ... وعلى جيلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه فلما نظر المسلمين اوما اليهم ان اجلسوا ، فجلس المسلمون بعيدا منه واذا رسول جيلة قد اقبل اليهم فقال لهم : يقول لكم جيلة ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه فقل له : ان اردت كلامنا فامتل من فرشك وكلنا ، فانطلق اليه الرسول مخبره بذلك ، فنزل جيلة عن فرشه تلك المرتفعة التي كان عليها الى فرش دونها ، ثم جلس عليها واوما الى المسلمين تقدموا ، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه ، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورضيه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بآمر الجنة والنار ، فابى جيلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا . فقال له

يكشف عن يقين اى امة كنا وى ايمان كان يحرك المسلمين ويجعل منهم عمالقة تتضائل عند اقدامهم قامت الرجال .

## كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفى :

وتلك وقته قصيرة لا بد منها لفهم المفاوضات التي جرت بين العرب المسلمين والروم ابان فتوح الشام ، كما اوردها الاخبارى المورخ احمد بن محمد بن على المعروف بابن اعثم الكوفى المتوفى عام ٢١٤هـ / ٩١٦م ، في كتابه المسمى كتاب الفتوح ، والذي يطلق عليه صاحب الذريعة في تصانيف الشيعة اسم كتاب فتوح الاسلام . ويتناول الكتاب فتوح المسلمين الاولى حتى نهاية الدولة الاموية ويذيله باهم الوثائق التي حدثت في عهد الخلفاء العباسيين الاول حتى المعتصم بالله . وبالرغم من ان الكتاب كان معروفا بين كتّاب التاريخ الاسلامى حتى انه ترجم الى الفارسية اواخر القرن السادس الهجرى ، الا انه لم يثر الا مؤخرا على نسخ عربية مخطوطة عنه . وتقوم بنشره حاليا مشكورة دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، وتوجد منه بجامعة الكويت نسخة مصورة عن نسخة استانبول . وقد بدأ هذا المخطوط يحظى باهتمام المستغلين بالدراسات الاسلامية لما يتضمنه من معلومات قيمة وتفصيلات ضافية ، توضح بعض الروايات المختصرة لدى الطبرى بالإضافة الى انفراده ببعض الاخبار المتعلقة بحروب الردة وفتوح العراق والشام وخراسان وارمينيا واذربيجان والحروب بين العرب والعصر و العلاقات بين العرب والبيزنطيين .



جبله وهرقل . فاستشهد أبو عبيدة  
بالآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم  
وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة  
ولهم عذاب عظيم » .

وهنا لم يبق اسم المسلمين من خيار  
سوى قتال المشركين فاجتاح المسلمون  
البلقاء في شرق الأردن ، وواصلوا  
تقدمهم شمالا حتى افتتحوا دمشق  
وأوقفوا في جموع الروم وحلفائهم  
في اجنادين بفلسطين . الا ان الروم  
لموا شعنتهم من جديد وجاعتهم أسداد  
كثيرة من الشمال حتى اجتمع اعداد  
حوالي مائة الف ، لقيهم المسلمون في  
موقعة فحل شمال وادي الأردن ،  
وانتصروا عليهم بالرغم من أن عدد  
المسلمين لم يكن يزيد على عشرين  
الفا .

### مفاوضات بين الروم والمسلمين قبل موقعة فحل :

ويورد ابن اعثم اخبار مفاوضات  
طويلة جرت بين الروم والمسلمين قبل  
موقعة فحل ، نوردها بشيء من  
التفصيل باعتبارها نموذجا ممتازا  
لمفاوضات العرب المسلمين مع  
أعدائهم في ذلك الوقت . فقد بعثت  
الروم برسالة شديدة اللهجة الى ابي  
عبيدة جاء فيها : « ايها الشيخ أخرج  
أنت ومن معك من أهل دينك من بلادنا  
هذه التي تنبت الحنطة والشعير  
والفواكه والأعشاب والخير الكثير ،  
وأرجعوا الى بلادكم ببلاد القبط  
والجوع والبؤس والفقر ، والا  
اتيناكم فيها لا قبل لكم به من الخيل  
والجنود ثم لا تنصرف عنكم ونبيكم عين  
تطرف وقد أعذر من أنذر . »

### ود ابي عبيدة :

ولم يكن أبو عبيدة ولا أي فرد من  
المسلمين ليقبل هذه الرسالة أو الانذار

هشام : اذ قد ابيت ما دعوتك اليه  
فاني مستأثرك ما هذه الثياب السود  
التي اراها عليك ؟ فقال جبله : اني  
ليستها نفرا على أن لا انزعها حتى  
أخرجكم من الشام . فتبسم هشام  
ثم قال : يا جبله انك والله لن تقدر أن  
تمنع مجلسك هذا منا والله لناخذنه  
ولناخذن ملك الملك الأعظم ( قيصر  
الروم ) وبذلك خبرنا نبينا الصادق  
عليه السلام . . . فلا تشك في ذلك  
يا جبله فأسود وجه جبله . . . ثم  
قال : الى بعثتم ام الى الملك الأعظم ؟  
فقال هشام بعثنا اليك واليه . قال :  
فسيروا اذا اليه فان اجابكم الى  
ما تريدون اجبتكم ولم اتأب  
عليكم .

وهكذا أدت البعثة الإسلامية  
دورها المشرف وختمت مهمتها بتوجيه  
انذار شديد اللهجة الى جبله الذي  
اضطر الى تعليق قبوله مطالب  
المسلمين على موقف قيصر الروم .

### قيصر يرفض دعوة البعثة :

غادرت بعثة المسلمين برئاسة  
هشام بن العاص مقر جبله في  
غوطة دمشق وتوجهت الى انطاكية  
لتبليغ قيصر الروم رسالتها . ويحدثنا  
ابن اعثم كيف كبر المسلمون لدى  
وصولهم باب قيصر حيث منعهم من  
مواصلة التكبير وأدخلهم قصره  
باعتبارهم رسلا . وكيف كان الروم  
يحسبون الحساب كله للتكبير الذي  
كان يطلقه المسلمون لدى فتحهم المدن  
والحصون .

غير أن هرقل قيصر الروم الذي  
أكرم ومادة البعثة رفض دعسوة  
الإسلام خوفا من أن يؤدي ذلك الى  
انتزاع ملكه وسلطانه . وقد رفض  
هشام وأصحابه قبول أي هدية  
من هرقل ، وعادوا الى ابي عبيدة بن  
الجراح ، فآخبروه بما كان من أمر

فرس له أدهم كما يصفه ابن أعمش وعلى رأسه عمامة حمراء عليه درع له سابغ قد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمان ، حتى إذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ يعفانه وجعل يقوده وهو يمشى اليهم . فقال بعضهم لبعض غلبناه : أذهب فأمسك عليه فرسه . فقال معاذ للسلام اليك عنى فانى أمسك فرسى ولا أحب أن يمسكه غيرى واستطاع معاذ بن جبل بنفاذ بضرته وقوة موقفه وسلوكه أن يلزع أعجابه أعدائه به من قبل أن تبدأ المفاوضات بينهما وبينهم .

ونوجز ما فصله ابن أعمش من أمر هذه المفاوضات في أن الروم سألوا معاذ عما يريد المسلمون وعن دعوتهم وحذروه من الاستهانة بقوة الروم . وقد أجابهم معاذ بأن الله تعالى قد أمر المسلمين بجهاد الكفار في كل مكان حيث قال في كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة » وأكد لهم أن المسلمين لا يعتمدون في النصر على كثرة عددهم وإنما يعتمدون في ذلك على ربهم عز وجل . وقدم معاذ شرحا موجزا لرسالة الاسلام وبعض أحكامه الهامة وتماليه ، ومن بينها رأى الاسلام في عيسى بن مريم عليه السلام . وأكد لهم أن دخولهم في الدين الجديد هو الذي يضع حدا للقتال ويجعلهم أخوة في الاسلام للعرب المسلمين فيتحد الجانبان لقتال الأعداء . وعرض عليهم أن أبوا ذلك دفع الجزية والاقترار بالسؤال والا بالقتال والمناجزة .

### الروم يبدؤون في تقديم التفارقات للمسلمين :

وهنا حاول الروم أن يزحزحوا معاذًا عن موقفه بتقديم بعض

فحمل رسول الروم رسالة جوابية قال فيها : ان الله تبارك وتعالى هو الذي جاء بنا اليها — اى بلاد الشام ، ولم نحن بالذى نخرج عنها فقد ورتنا الله اياها فآخذناها باسيافنا وفتحناها عنوة وغنما ونزعنا الله من ايديكم وجعلنا في ايدينا ، وانما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، وهو ملك الملوك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير . . ولما رأى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا ، رأنا لهذه البلاد أهلا وابدلنا بلاد البؤس والشقاء ببلاذ الخير الكثير والعيش الرमيع والجناب الخصيب ، وكنا احق بها وأهلها لايماننا بالله وكفركم به ، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرمين عنها ولا خارجين منها الى غيرها ، فخذروا عنكم تمنى الاباطيل والاماني الكاذبة . وأما قولكم بأنكم تاتوننا فيما لا قبل لنا به فوالله لا تاتوننا بجند الا اتيناكم بمثلته أو اضعافه ان شاء الله ولا قوة الا بالله ، فكونوا من ذلك على يقين .

### تراجع الروم عن التهديد والوعيد :

فلما أطلع الروم على هذا الجواب الشديد داخل قلوبهم الرعب والخوف وأرسلوا الى أبى عبيدة يقولون : « ابعت الينا رجلا من صلحاء اصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبون وتسألون ، ونخبره بما عندنا وندهوكم الى حظكم ورشدكم . »

### سفارة معاذ بن جبل :

لم يمانع أبو عبيدة في ذلك حتى يقيم الحجة على الكافرين قبل قتالهم ، فأرسل اليهم معاذ بن جبل الصحابي المعروف ، لما قبل اليهم معاذ على

التنازلات فقالوا له : « أنا نرى الأمر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جدا . وقد بقيت خصلة واحدة نحن نعرضها عليكم ، نعطيكم أرض البلقاء وما والاها مما غلبتم عليه وتتحنون من بنية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسعى فيه خياركم وصلحائكم وناخذ مية عهدكم وموائتكم ، انكم لا تطالبون من أرضنا شيئا الا ما صالحناكم عليه ، ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلك وتصرفون عنا ، وعليكم بارض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم على ذلك . فاجابهم معاذ : أما ما ذكرتم انكم تعطوننا أرض البلقاء ، فان البلقاء وغير البلقاء من أرضكم بأيدينا ونحن عازمون على ان نجليكم من جميع أرض الشام ، وتكون باجمعها لنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله » . غضب الروم من كلام معاذ وطلبوا منه الرجوع الى المسلمين ، بعد ان توعدوه وقومه بان يشتموا تسليم في الجبال لانه لم يقبل بشروطهم . فرد عليهم معاذ : أما في الجبال فلا يكون ذلك أبدا . ولكن والله لنقتل من آخرنا أو نخرجكم منها اذلة وانتم صاغرون . وفي ذلك دلالة وإى دلالة على مدى أصرار المسلمين على النصر أو الشهادة ورفضهم المطلق للتراجع أو الانسحاب .

### الروم توفد مبعوثا آخر لابی عبيدة :

ويبدو ان الروم لم يكونوا ليتوعدوا هذا الموقف الصارم من المسلمين كما مثله معاذ ، وخشوا ان يكون معاذ قد سلك هذا الموقف من تلقاء نفسه ، دون موافقة ابي عبيدة ، فطلبوا من الاخير ان يرسل لهم رجلا آخر من المسلمين لتوضيح الأمر ومواصلة التفاوض أو يرسلوا اليه رسولا من عندهم فوافق أبو عبيدة على استقبال

مبعوثهم الجديد . ويحدثنا ابن أعمش عن الحيرة التي انتابت المبعوث الرومي لما شاهده من بساطة المسلمين وعدم استطاعته التفريق بين أميرهم وعامة جنده . وقد عرض مبعوث الروم على ابي عبيدة ان يأخذ كل راجل من جند المسلمين دينارين والفارس خمسة دنانير وثوبين ، في حين يأخذ أبو عبيدة الف دينار ، وخالد بن الوليد خمسمائة ، ويرسلوا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الف دينار ، مقابل جلاء المسلمين عن بلاد الشام واحتفاظهم ان شاعوا بأرض البلقاء وما والاها من بلاد الأردن .

فرد عليه أبو عبيدة ردا واضحا نصلا قال فيه : أتني أخبرك ما عندي يا رومي . ان الله تبارك وتعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه كتابا جعله رحمة للمالين وحجة على الكافرين ، وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : اذا لقيتم الذين كفروا فادعوهم الى الايمان بالله ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله ، فمن أجابكم منهم الى دينكم فهو أخوكم في دينكم وشريككم في حظكم له ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبى منهم الايمان فاعرضوا عليه اذا الجزية حتى يؤديها عن يد وهم صاغرون فان كرهوا ان يؤمنوا وأبوا أن يؤدوا الجزية فقاتلوهم . فان قتلتكم المحتسب بنفسه شهيد في جنات النعيم ، وقتل عدوكم في النار والمذابح الأليم ، فان صدقتم يا رومي بما سمعتم وقبلتم ما اعلينتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم وان كرهتم ذلك وادبرتم عنه وكذبتم ، فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » .

وهو ما حدث فعلا في موقعة نعل

الانتصارات الباهرة والمكاثرة المرموقة  
التي احرزها العرب المسلمون خلال  
فتره وجيزة من الزمن .

وقد حاول ماهان ان يتقرب الى  
خالد ويتودد له ، وابدى اعجابسه  
بفسطاطه فوجه خالد اياه ، ولكن  
ذلك لم يثن خالدا عن هدفه الاصلى  
وموقفه الثابت من المفاوضات وقد  
عرض ماهان على خالد ان يتنازل  
الروم للمسلمين عن جميع الاموال  
والاسرى الذين وقعوا فى قبضتهم  
خلال الحروب الاولى مع الروم ،  
وعرض دفع عشرة آلاف دينار لعمر  
ابن الخطاب وخمسة آلاف لابي عبيدة  
ومثلها لخالد ، ولمائة من رؤساء  
المسلمين لكل منهم الف دينار ولكل  
من راجليهم خمسون دينارا . وذلك  
فى مقابل انسحاب المسلمين من بلاد  
الشام وعدم العودة اليها .

ولم يكن من الممكن قبول هذا  
العرض المادى الذى يصور المسلمين  
وكانهم انما خرجوا طلبا لعرض  
الدنيا ومنافعها المادية لا لنشر الاسلام  
والدعوة الى رسالته الجديدة . وكان  
رد خالد واضحا كل الوضوح وهو ان  
المسلمين عندما خرجوا لفتح بلاد  
الشام كانوا يعرفون قوة الروم  
وحلفائهم وانهم انما خرجوا يحملون  
الاسلام لتبليغ رسالته للمشركين ،  
ويسط له تعاليم الدين الجديد وبيادته  
وقال له : « ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قد امرنا ان نقاتل من زعم  
ثانى اثنين او ثالث ثلاثة حتى  
يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك  
له ، وان محمدا عبده ورسوله ، فان  
قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم  
واموالكم الا يحقها ، وانتم اخواننا فى  
ديننا وشركاؤنا فى حفظنا ، وان انتم  
ابيتم ذلك فادوا الجزية عن يد وانتم  
صاغرون ، فان ابيتم ذلك قاتلناكم على

عام ١٣ هـ التى انتصر المسلمون فيها  
على جموع الروم بعد ان اقبلوا عليهم  
الحججه ودعوههم الى دعوة الاسلام  
والسلام .

## مفاوضات اخرى بين المسلمين

### والروم قبيل معركة اليرموك :

ويذكر ابن اعثم الكوفى اخبارا عن  
مفاوضات اخرى جرت بين المسلمين  
والروم قبيل معركة اليرموك فقد بعث  
ما هان قائد قوات الروم بمبعوثا الى  
ابى عبيدة يطلب منه ارسال رجل من  
المسلمين له حب للتفاوض معه قبل  
الحرب . فاختار ابو عبيدة خالد بن  
الوليد للقيام بهذه المهمة التى رافقه  
بنيها مسيرة بن مسروق العيسى  
مستشارا له .

### خيمة المفاوضات :

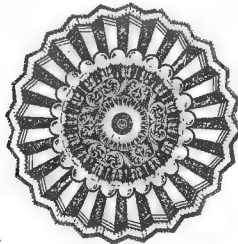
ويصف لنا ابن اعثم الخيمة التى  
نصبها خالد لتكون مقرا لوفد المسلمين  
المفاوض بقوله « فلما أصبح ابن الوليد  
ومزم على المسير الى ماهان امر  
بقبة حمرى فضربت له قريبا من  
معسكرهم ، ثم ركب خالد وركب معه  
ميسرة وسارا جميعا حتى نزلا على  
باب القبة ، ثم دخل خالد الى قبة  
فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق  
ووقف غلام ميسرة على باب القبة  
يمسك قوسيهما . » ويمضى ابن اعثم  
فى القول ان المفاوضات جرت فى مقر  
ماهان الذى اعجب بخالد ورجاحة  
عقله ، وبخاصة عندما امر خالد  
على اصطحاب مستشاره ميسرة بن  
مسروق ، واكد لماهان ان فى معسكر  
المسلمين اكثر من الف رجل لا يستغنى  
عن رايه ومشورته . وهنا يقف المرء  
اعجابا بالمعبرة العربية فى ذلك  
العصر ، وفيهم السر الكامن وراء

المشركين الى اعتناق الدين الجديد قبل قتالهم ، ومن أجل ذلك أرسلوا الوفود واستقبلوا رسل الكفار واتصلوا بهم لتوضيح موقفهم وتبليغ المشركين رسالتهم الاسلامية بالطرق السلمية . الا ان أعداءهم أصروا على رفض دعوة الحق ، ولم يفتنوا الى التغيير الشامل الذى أحدثه الإسلام فى نفوس العرب وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس لهدايتهم . وظلوا يحسبون العرب المسلمين قوما خرجوا من الجزيرة من أجل الغزو والمقاتم ، ولذلك كانت عروضهم خلال المفاوضات كلها تتمشى مع هذه النظرة الضيقة . وهو أمر كان لا بد أن يؤدى الى فشل جميع الاتصالات التى جرت مع الروم وبخاصة أن كل فرد من المسلمين كان يؤمن بحقه ويعرف هدفه ولا يفرط قيد أنملة فيه ، مما أكسب العرب المسلمين قوة على قوة ومكانة من الانتصار على أعدائهم ونشر الاسلام فى ربوع بلاد الشام وغيرها من أقطار المعمورة التى تعرف اليوم بالعالم الاسلامى .

بصيرة ويقين انه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ، ومن قتل منكم كان كافرا وصار الى النار محلدا فيها ابدا . فاختار الآن يا ماهان ما احببت ، وأعلم انه قد جاعك قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وصدق الله العظيم وعده وكتب النصر للمجاهدين الصابرين على الروم المشركين الذين رفضوا قبول دعوة الهدى والايمان .

ونتبين من هذه المفاوضات التى يفيض ابن أعثم الكوفى فى ذكر تفاصيلها ، أن العرب المسلمين خرجوا من جزيرتهم مجاهدين على سبيل الله ونشر دعوته الاسلامية متمسكين بتعاليم دينهم وقدموا المهج والارواح رخيصة من أجل انتصار الاسلام . وقد حرصوا على دعوة



## مع الأمين العام للمنظمة الإسلامية العالمية

# المؤتمر الإسلامي

تحقيق الأستاذ عبد الحليم عويس

### منظمة المؤتمر الإسلامي

القاهرة ، لكنه ألقى بالانساق بين الدول المؤسسة له . ثم حاولت « رابطة العالم الإسلامي » ، وهي منظمة شعبية تتعاون مع الدول الإسلامية ، أن تلعب دور المؤتمر الإسلامي ، وقامت بجهود طيبة ، لكن المجال كان لا يزال بحاجة إلى « منظمة رسمية » لها سمات العمل الرسمي وتنظيماته وإمكاناته .

ومن هذا المنطلق ، ولدت منظمة المؤتمر الإسلامي ، التي يتولى أمانتها المستشار الأستاذ « حسن التهامي » الذي أعطانا — بشكورا — ساعة من وقته ، أثناء زيارة رسمية قصيرة ( ليوم واحد ) قام بها لدولة الكويت .

### كن مع الغفالتين :

— هل تبدأ حوارنا مع الأمين العام للمؤتمر الإسلامي من نقطة « واقع

أسئلة كثيرة تتدافع إلى ذهنك وأنت في طريقك لمعابلة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الأستاذ « حسن التهامي » .

إن منظمة « المؤتمر الإسلامي » هي المنظمة الرسمية المسؤولة عن المسلمين في شتى أرجاء الأرض ، وهي الجهة المخولة من قبل الحكومات الإسلامية بالنظر في الأمور التي تتعلق بالمسلمين لدى حاضريهم ومستقبلهم .

وعقب قمة الملوك والرؤساء العرب في الرباط ( ١٩٦٩ م ) نشأت « منظمة المؤتمر الإسلامي » كتعبير عن ملامح مرحلة جديدة في تاريخ المسلمين المعاصر .

وقبل ظهور المنظمة كان هناك « المؤتمر الإسلامي » الذي كان مقره

- القدس المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الاسلامي ..
- بليون دولار : رأس مال البنك الاسلامي ..
- هامتان اسلاميتان في أوغندا والنيجر ..
- قضية سامي القلبيين قضية ساخنه ..
- تقنين لشرعية الاسلاميه هو البداية لوجود الدولة الاسلاميه

#### ● كيف ... ؟

أجاب الأمين العام :

— أن مقر الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي موجود في « جدة » بصفة مؤقتة ، لكن مقره الرسمي ومركزه الاساسي الدائم في مدينة « القدس » — كما قرر مؤتمر الرباط — ووجودنا في « جدة » وجود مرحلي مؤقت .

ونحن — في المنظمة — نواجهه العصر ببرنامج انساني عالمي ملائم للعالمية الدعوة الاسلامية .. اننا لا نريد أن نتحد انطلاقتنا « جزئية وقتية » ولا « وجهة نظر عابرة » .. هناك — بجانب « مشروع عالمية الدعوة الاسلامية » — برنامج « النشاط العالي للشباب المسلم » في البلاد الاسلامية وغيرها .

وهناك برامج ثقافية وفكرية ورياضية واجتماعية ، ستحرص لها اجهزة الرعاية الملائمة ، على مستوى الامكانات المادية وغيرها من العناصر اللازمة للنجاح . وهذه البرامج كلها عالمية الطابع .

المسلمين « أم من نقطة « مستقبلهم ؟  
— لقد حدد الأمين العام مسار الحوار (ومسار الاتجاه الحديث الذي يجب أن يتسم به العمل الاسلامي ) حين قال لي :

« كن مع المتفائلين » ان كل الدعوات التي غيرت وجه التاريخ قد انطلقت من نقطة « تجاوز الواقع » ودعوتنا الاسلامية الانسانية العامة على رأس هذه الدعوات . ان الواقع المزلزل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم في « ظروف الضنك » ان يثق في ان الله سيحقق وعده ، وان رسالة الاسلام ستمتد من فوق أسوار « المدينة » المحاصرة ، الى آفاق الارض كلها .. حتى يفتح الله بلاد كسرى وقيصر !!

— ومنظمة المؤتمر الاسلامي تنطلق في « استراتيجيتها العليا » من هذه النقطة ... نقطة « استيعاب الواقع » والامساك بخيوط الأمل والنور من خلاله ، والتخطيط بالتالي للمستقبل .

● **وعن المشروعات الأخرى التي طال انتظارنا لها .. البنك الإسلامي مثلا .. ؟**

— أطمئنك ، وأطمئن الذين طال انتظارهم بذلك ، نحن في عصر الدراسات الأكثر عمقا وإثارة .. وفي ١٥ مايو الماضي ، عقد اجتماع للنظر في انتهاء الدراسات اللازمة التي قام بها المختصون . وبمعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد بماليزيا ، يعلن قيام البنك الإسلامي ، وتحدد فيه حصص الدول الإسلامية للمشاركة في رأس المال ، ويتم — بالتالي — تشكيل مجالس إدارته ، ومشروعاته في خدمة العالم الإسلامي .  
ومن المقرر أن يبدأ « البنك الإسلامي » خطوته الأولى برأس مال قدره بليون دولار ( ألف مليون دولار ) .

#### ● **وكالة الأنباء الإسلامية ؟**

— لقد دخلت ضمن مشروع « التضامن الإسلامي » ، وبإزدياد تجميع رأس المال اللازم مستقيم هذا العام ( ١٩٣٤ هـ ) ، فإن مشروعها الدروس مشروع متكامل ، وسيتم تمويله هذا العام إن شاء الله .

● **ونهد الطرف قليلا ، لنعرف على خطة « المؤتمر الإسلامي » في نشر الإسلام بأفريقيا .. ؟**

أجاب أمين عام المؤتمر الإسلامي :  
— يقوم تخطيط منظمة المؤتمر الإسلامي لنشر الإسلام في أفريقيا على ثلاث دعائم ، تمثل حصاد دراسة علمية طويلة وأمية .

أولا : رعاية الشعوب الإسلامية والجماعات الإسلامية بأفريقيا ، وذلك لتثبيت انتمائهم للأمة الإسلامية .  
وأهم وسائلنا لتحقيق هذه الغاية معاونة هذه الشعوب وتلك الجماعات على الحياة ، فقد أصاب الجفاف والقحط كثيرا من البلاد التي يقطنها

عزلاء . وأن معاونتهم في هذه الناحية ستفيدهم في التغلب على هذه المصاعب ، وتثبيت قضيه وجودهم وانتمائهم الإسلامي ، فضلا عن سد الباب أمام الذين يستغلون أمثال هذه الظروف لحرب الإسلام وغرس المبادئ المستوردة .

ونحن نأمل أن يتم ذلك التعاون ، بجانب إطار التعاون العربي الأفريقي ودعمه له .

ثانيا : تعليم الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك عن طريق مد هذه الدول بالمدرسين والمبوعين المسلمين . وهذا يتم ثانيا بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي وأفريقية .

والمنظمة بصدد دعم وتوسيع رقعة التعاون في هذا المجال وتمويله .

ثالثا : تدعيم المراكز الإسلامية في هذه البلاد — برسالتها المعروفة — وإنشاء عدد من الجامعات الإسلامية بها . وهي آخر ما تقرر في مؤتمر لاهور ، لكي تتخرج من هذه الجامعات أجيال من المثقفين ، يشاركون في إقامة نظام الدولة الإسلامية ، وإطارات الحكومة الإسلامية الطابع ، بما في ذلك تأسيس كليات « للتكنولوجيا » والطب وغيرها .

ونحن نرى أن الدول الأفريقية تحتاج وتهتم فعلا بهذا المستوى الرفيع من الثقافة الإسلامية ، وتتمنى أن تحل محل الثقافات الأخرى الدخيلة عليها .

— والمؤتمر الإسلامي ، بصدد تنفيذ قرار « مؤتمر لاهور » الخاص بدراسة إمكانية إقامة كليات الجامعات الإسلامية على أحدث النظم وأكثرها أصالة ، وضرورة دعم الفكر والعلوم والثقافة الإسلامية في شتى ميادين الحياة الإسلامية .  
ومعروف أن مؤتمر لاهور قد قرر — كبداية — بناء جامعتين : أحدهما



وتحويل أسلحة إلى . وذلك هو الطريق الوحيد القادر - بمون الله - على وقف التيارات الزاحفة على أطراف الأمة الإسلامية ، ومواجهتها ، وتثبيت عقائد الأمة الإسلامية ، بل وتثبيتها .

ومن الواجب علينا ألا ننزعج كثيرا مما حدث في العامين الأخيرين من منجزات تبشيرية ، لأن السدين الإسلامي قوى مقين ، سوف لا يلبث أن يعيد الأمور إلى نصابها ، بمجرد أن يبدأ هذا البرنامج . ومن واجبنا كذلك أن نخاطب وجدان المسلمين في المناطق النائية التي تتعرض للزحف التبشيري ، ونرعى مصالحهم ، ونحيمهم من ذلك الزحف الطارىء المؤقت الانتهازي الطابع .

● **ومسلمو أوروبا - سيادة الأُمَمِ العام - هل يلقون رعاية ثقافية من المنظمة ؟**

— هناك مشروع قائم بذاته خاص بأوروبا ، يهدف إلى رعاية المراكز الثقافية الإسلامية بها .

وقد تشكلت - عملا - لجنة دائمة لتابعة تحقيق هذا الهدف . وسوف يتم بها عمل مماثل في الأمريكتين هذا العام ( ١٩٩٤ هـ ) . وكلما توفر المال اللازم لهذه النشاطات ، كلما زادت خطى السعي في هذا الشأن .

ولست أخفى أن المؤتمر الإسلامي يرحب بمعاونة الدول الإسلامية في دعم المنظمة العالمية بالمال والجهد . ونعتبر ذلك ركنا أساسيا من أركان الجهاد في سبيل الله ، في عصرنا الحالي . . عصر العلم والحضارة والاقتصاد والفكر والحرب والسلام .

● **هل تتكلمون بتحديد موقف المنظمة من قضية « تغريب » المرأة المسلمة ؟**

— للمرأة في الإسلام دورها وكرامتها وشرفها وأصالتها واحترامها، سواء كانت ربة بيت أو عاملة في

في أوغندا والأخرى في النيجر . وليس ثمة مانع من زيادة عدد الجلسات في البلاد الأفريقية - بعد ذلك - للاستعداد والتجول متفران لدى كل دول المنظمة .

● **الأقليات الإسلامية - كما تعلم سيادتكم - تؤرق الضمير الإسلامي . ولكي أكون « عمليا » أركز - في سؤالي حول قضية الأقليات - على قضيتين ، يتميزان بمستويين مختلفين: الفلبين وتايلاند . . ؟**

— أبدأ بالفلبين . .

المؤتمر مهتم بالفلبين ، لأنها قضية « ساخنة » كما يقولون . وقد نجحت المنظمة في أن تحصل مع الرئيس الفلبيني « ماركوس » إلى نتيجة إيجابية . . فقد وافق ماركوس « كتابيا » لدول المؤتمر الإسلامي على إقامة وكالة إغاثة للمسلمين في الفلبين . ويركز البحث الآن في وسيلة إقامتها وأسلوب عملها ورأس المال اللازم لها .

— أما قضية « تايلاند » فليست « ساخنة » على مستوى الفلبين . ومسلمو تايلاند يلتزمون رعاية واستعدادا طيبا للتفاهم من حكومتهم ولا تشابه بين مشكلتهم ومشكلة الفلبين .

والذي نسعى إليه الآن هو تثبيت دعائم المسلمين في جنوب تايلاند ومشاركتهم في الحكم .

وقد لقيت شخصيا من المسؤولين الكبار في حكومة تايلاند الاستعداد الطيب لهذا التعاون ، وسأقوم بجولة لاحقة لإنهاء ذلك أن شاء الله .

● **والتبشير ، بوسائله المعروفة ، أيضا ، من مؤثرات الضمير الإسلامي . كيف يخطط المؤتمر الإسلامي لمواجهته ؟**

— نحن - في المؤتمر الإسلامي - نواجه التبشير ببرنامج إيجابي محدد، أنه برنامج « أحياء الدعوة الإسلامية » على مستوى عالمي ، وفق تنظيم عالمي

فى شتى المجالات ، بل حتى فى الاقتصاد والقانون والتعليم ، بل وفى نظم الحرب وآدابها .  
وغنى عن القول : ان هذه الامة الاسلامية ، والانسانية بعمامة ، لن تجد خيرا من الشريعة الاسلامية أساسا رئيسيا لكل قوانينها . والمهم الآن : تقنينها ، بالشكل الذى يغنى الامة الاسلامية — تلقائيا — عن الرجوع الى دساتير وقوانين أجنبية .

وانى لأمل من الله سبحانه وتعالى أن يمكن منظمة العالم الاسلامى من ايجاد هذه الموسوعة القانونية الشرعية فى مدى عام ، لتكون مرجعا لكل الدول الاسلامية فى التشريع .  
وأحمد الله ، فان لدى العالم الاسلامى من المفكرين والباحثين ما يكفى لاتجاز هذا العمل العظيم . ولا ينقصنا الا جمعهم على مستوى عالمى ، بعد توفير امکانات اللازمة ، وبسبب الجهد — بعد ذلك — لاجراء هذه الموسوعة ، وتعميمها بالطرق الممكنة .

وهذا العمل — من وجهة نظرى — هو بداية وجود الدولة الاسلامية الكبرى ، حيث تم الشريعة والقانون والدستور الاسلامى كل هذه الرقعة العريضة من الارض التى تعيش عليها الامة الاسلامية ، وحيث يتمكن قادتنا وزعمائنا الذين تضمهم منظمة « المؤتمر الاسلامى » العالمية — من الاستناد الى ذلك التشريع ، لتطوير النظم التقليدية الوضعية الأجنبية ، على الأسس الاسلامية ، بالتدريج ، علما بعد عام . فيحققون — بذلك — الوجود الحضارى الأمثل للامة الاسلامية .

المجتمع . لكن الاسلام عندما يقيم دعائم المجتمع المتين ، يصر على احترام وضع المرأة المسلمة ، فى الدرس والبيت والمجتمع .

ويفكر المسئولون فى المؤتمر الاسلامى ، كجزء من برامج النشاط الاسلامى — فى افريقيا مثلا — فى احياء المجتمع الاسلامى ، حتى يتحقق المستوى الرفيع لكان هذا المجتمع بشتى أفراده وطبقاته .

ونرى رأى . . أنه مهما تحدثنا عن دور المرأة فى بناء المجتمع الاسلامى ، فانه يبقى علينا أن نقرر فى كل تشريعنا تنظيم مشاركة المرأة فى العمل الايجابى ، بحيث تتحقق لها كرامتها الادبية ، ويتحقق لها احترامها كامرأة ، وايضا . . نحافظ على شعور المجتمع الاسلامى .

فماذا شاركت المرأة فى عمل رسمى فلا بد أن ترمى هى — أولا — شروط الشريعة الاسلامية فى معاملاتها وآدابها . . ويبقى على المشرع — بعد ذلك — أن ينظم تعاملها مع المجتمع ، وينسق ذلك فى اطار حياة الامة الاسلامية .

وعلىنا جميعا شبابا وشيوخا — كمسلمين — أن نلف حراسا على المرأة ، حتى تتسجم مع المجتمع الاسلامى ، وحتى نحافظ على كرامتها وشرعها وسترها ، مهما تشعبت بنا السبل فى عملية تخويلها ممارسة أعمال ما فى الدولة الاسلامية .

● وسألنا الأخير — مع الشكر — يتعلق بموقف المنظمة الاسلامية العالية من « القوانين الوضعية » فى العالم الاسلامى . . ؟

— ثمة محاولة فى « المؤتمر الاسلامى » لتقنين الشريعة الاسلامية

# نحو اقتصاد إسلامي متحدر

للدكتور : إبراهيم فؤاد أحمد علي

تعرضت في المقال السابق الذي تفضلت المجلة بنشره في عددها الممتاز رقم ١٠٩ الصادر في غرة المحرم ١٣٩٤ هـ - يناير ١٩٧٤ م ، الى الدعوة الى الأخذ بالنظم الاقتصادية الإسلامية ، واشترت الى بعض المفاهيم الإسلامية التي تعتبر أساسا للمذهب الإسلامي والتي يدور في أطرافها النظم الإسلامية المختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة إسلامية ، كما أوردت في ختام ذلك المقال بيانا بموارد بيت المال الإسلامي .  
وفي هذا العدد أتعرض لمورد ( الزكاة ) وهو من الموارد الرئيسية الشرعية لاية وزارة للخزانة أو المالية في كل بلد إسلامي .

## أولا - تعريف الزكاة

الزكاة في اللغة هي الطهارة والنماء « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفرق الاسم ويتفق المسمى ، سميت بذلك لأنها تطهر المال وتنميه . يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه ، وزكت النفقة اذا بورك فيها . والزكاة في الشريعة هي « حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص » فهي عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعي من ناحية أخرى ، وهي طهارة للضمير والخلة بأداء الحق المفروض ، وطهارة للنفس من غطرة الشح وغريزة حب الذات ، فالمال غال وحين تجود به النفس للآخرين انها تطهر وتسمو وتشرق ، وهي طهارة للمال بأداء حقه وصيورته بعد ذلك حاللا خالصا لصاحبه .

ولأن في الزكاة معنى العبادة لطلبها من المسلمين ، بلغ من لطف الإسلام ألا يطلب من أهل الخمة من أهل الكتاب ( النصارى واليهود مثلا ) اداؤها واستبدل بها الجزية ليشتريكو في النفقات العامة للدولة دون أن تفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الإسلام .

والزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة ، وفرض عين على كل من توافرت فيه شروطها . وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والإجماع ، قال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .  
 وحين بعث الرسول معاذ بن جبل إلى اليمن قال له « أدمهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » . وهذا الحديث يشير إشارة صريحة إلى أن الزكاة من الموارد المالية الرئيسية للهيئات المحلية ، إذ أن الرسول أمر بجبايتها من أغنياء اليمن وإنفاقها على فقرائهم .

وقد تشدد الإسلام في ضرورة أداء الزكاة حتى أن الأمر بأدائها ورد مقرونا بالصلاة في اثنين وثلاثين موضعا في القرآن الكريم وتوعد مانتها بالعقاب الشديد ، قال تعالى « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب اليم . يوم يحى عليها في نار جهنم تفتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فنفقوا ما كنتم تكزون » سورة التوبة ٣٥ ، ٣٦ . وعن النبي أنه قال « أن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع قراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاءوا وعروا إلا بما يصنع أغنيائهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليم » .  
 وقد قرر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها أخذت منه قهرا ، أما من أنكر وجوبها وكان ناشئا ببلاد الإسلام بين أهل العلم فهو مرتد تجري عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا فإن تاب وأقرب . وما حروب الردة التي قام بها الخليفة الأول أبو بكر الصديق حين منعت بعض قبائل العرب أداء الزكاة إلا تطبيق على لبيان أهمية استيفاء الزكاة بمعرفة الدولة ، ولبيان عقوبة من يمتنع عن أدائها أو ينكر فرضيتها .

## ثانيا - خصائص الزكاة

للزكاة خصائص متعددة لا يتسع هذا المقال القصير لتناولها ، ولستكني سأقتصر على إبراز أهم خصائصها باختصار . ومن خصائص الزكاة ما يأتي :

### أولا - الزكاة ضريبة للدولة حق جبايتها وإنفاقها :

يعتقد الكثيرون أن الزكاة أحسان فردي متروك للفرد الحرية في منحه أو منعه ولكن الحق فيها يجد أنها ضريبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وأنها من أهم الموارد الرئيسية للتكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، كما أن الحاكم مأمور بجبايتها وإنفاق حصيلتها في الأوجه التي حددها القرآن الكريم ، قال تعالى آمرا الرسول بجبايتها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » وقال تعالى مبينا أوجه إنفاقها « أنما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية . ويتبين أن مصارفها كما توجه لنواحي التكافل الاجتماعي في معظمها ، فإنها توجه كذلك لغرض المصالح العامة في الدولة . وقد قام الرسول بجبايتها وإنفاقها ، كما أرسل عماله لجبايتها من القبائل ، وبين لهم وعاءها وكيفية إنفاقها . وقام بذلك الخلفاء الراشدون من بعده . وإبادر إلى بيان أن الأمر بأخذ الصدقة في الآية

الشرقية المقصود به صدقة الفريضة وهي الزكاة ، وهي بخلاف صدقة التطوع المتروك أمر منحها أو منحصرا للفرد ، فإن أداها استحق الثوبة وإن منعها فلا تريب عليه .

ونحاول الآن اثبات أن الزكاة ضريبة . فالضريبة تعرف بأنها فريضة من المال تستأديها الدولة أو السلطات المحلية من رعايتها والقاطنين بها على قدر يسار كل مكلف لتبكيها من أداء المرافق العامة التي تضطلع بها . ولنبحث الآن أركان الضريبة لنرى مدى انطباقها على الزكاة :

١ - الضريبة فريضة ، أي أن أداها واجب على المكلف فهو ليس حرا في أداها ولا في اختيار مقدار ما يدفع منها ، ولا في كيفية الدفع وموعده ، بل يحدد الشرع ذلك كله ويلزم الكافة باحترام هذا التحديد حتى ولو كان منهم من يعارضها . والزكاة أيضا فريضة فأداؤها واجب على كل من عنده النصاب حتى أن اليتيم يكلف وليه بأداؤها ، وحدد الشرع كيفية أداها وموعده ، فمثلا زكاة الزروع تستحق عند نضج المحصول « وأتوا حقه يوم حصاده » .

٢ - لا تفرض الضريبة إلا على الأشخاص لأن الضريبة تكليف أو واجب وليس غير الشخص من يؤدي هذا الواجب فإذا فرضت ضريبة على المبنى مثلا فإن الذي يكلف بدفعها هو صاحب المبنى وكذلك الزكاة فإن محل التكليف فيها الأشخاص مع أنها مفروضة في أموال مختلفة .

٣ - أن الضريبة لا تكون ضريبة إلا إذا فرضتها سلطات عامة كالدولة بالنسبة للضرائب المركزية والسلطة المحلية بالنسبة للضرائب المحلية . وكذلك الزكاة فلم يتركها الله سبحانه وتعالى للحكام يفرضونها حسب أهوائهم ، بل فرضها الله وجعل ولاية جبايتها وإنفاقها للسلطات العامة بشروط معينة ، وقد أوجب كثير من الفقهاء دفعها إلى الإمام حتى ولو كان جائرا .

٤ - تجبى الضريبة لأداء المرافق العامة التي تضطلع بها السلطات العامة ، فلا يدخل في حسابان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذي سيؤول إليه بالذات من أداء هذه المرافق بل يوزن هذا التكليف بمقدار اليسار قل نفع المكلف أو كثر أو انعدم . وكذلك الزكاة فاتها تجبى وينفق جزء منها لأداء المرافق العامة في الدولة بصرف النظر عما يعود على دافعها من منافع مادية ويقتدر يسار كل مكلف تفرض الزكاة الواجبة في أمواله .

ويتبين من هذا مدى توافق أركان الضريبة في الزكاة والتي تجعلنا نحكم عليها بأنها فريضة تقوم الدولة بجبايتها وإنفاقها ، وليست كما قد يظن البعض في عداد الصدقات الفردية والتي يترك أمرها للأفراد أنفسهم يفرجونها أن شاءوا أو يمنعونها .

### ثانيا - الزكاة من الضرائب المحلية :

من المعروف في المالية الحديثة أن هناك ضرائب تفرضها الحكومة المركزية تتسم بالطابع الشخصي كضرائب الدخل وأخرى تفرضها الحكومات المحلية تحصلها وتنفقها في نطاقها المحلي وإن لم تف الضرائب المحلية بنفقات الهيئات المحلية ، فعلى الحكومة المركزية أن تدها بإعانات مالية . والمعروف كذلك أن الأساس في مالية الدولة الإسلامية أنها قائمة على أساس اللامركزية أو على نظام مالية الهيئات المحلية في العصر الحديث ، فكل إقليم له موارده المالية الخاصة به ينفق منها ما يحتاج إليه من نفقات في المرافق والصالحات المختلفة فإن

بقى فضل من موارده أرسل الى بيت المال المركزى وإن لم يبق شيء من تلك الموارد واحتاج الاقليم الى معونة بيت المال الرئيسى كان عليه اعاقته .  
والزكاة من الضرائب المحلية التى تؤخذ من المكلفين فى مكان وتتفق على المستحقين من اهل ذلك المكان ومابقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى لينفق على القرى القريبة من ذلك المكان والتى تحتاج الى الامانة ، وقد اهدت كثير من الدول حديثا مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الى قواعد مالية الهيئات المحلية التى عرفها الاسلام منذ حوالى اربعة عشر قرنا وجمعت للضرائب المحلية أهمية كبيرة من ناحية تحصيلها وانفاتها فى مكانها .

وهناك الكثير من الأدلة التى تثبت أن ضرائب الزكاة بأنواعها المختلفة من الموارد المحلية ، اولها الحديث الشريف الذى أوردناه عندما أرسل النبي معاذ الى اليمن وأمره بأن يأخذ الزكاة من أغنيائهم وينفقها على فقرائهم ، وكذلك فإن معاذ مكث باليمن أيام الرسول وأيام خلافة الصديق أبى بكر وأيام خلافة عمر بن الخطاب وحدث أن بعث معاذ الى مهربن الخطاب بثلاث صدقة الناس فأنكر عليه عمر ذلك وقال له : لم أبعثك جابيا ولا أخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتزدها على فقرائهم . فرد عليه معاذ بقوله : « ما بعثت اليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه منى » فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطرا ( بنصف ) الصدقة فترجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث اليه بها كلها ( أى بعث اليه بالصدقة كلها ) فراجع عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ « ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا » ويتبين مما حدث بين معاذ وعمر بن الخطاب أن الوالى على اليمن وهو معاذ لم يرسل الى بيت المال المركزى الا الفائض من موارد بيت المال الفرعى باليمن وإن مفهوم مالية الهيئات المحلية كان متصلا فى فهمه وثابتا لديه بدليل أنه كان يرد على عمر بقوله : إنه إنما بعث اليه الفائض وأنه لم يجد أحدا يستحق شيئا من اهل اليمن .

وهناك دليل آخر على أن موارد بيت المال الفرعى — ومنها الزكاة — تنفق حيث تجبى وهذا الدليل يبين من أنه روى أن زيادا أو أحد الأمراء بعث عمران على الصدقة فلما رجع عمران للأمير قال له الأمير : أين المال ؟ فقال له عمران « ألهال بعثتنى » ؟ « أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذه الواقعة تبين أن الأمير سأل عن المال اعتقادا منه أن عمران كسائر العمال الذين يجمعون الأموال ويحملونها الى الأمراء ليصرفوها فى مصارفهم الخاصة فأنكر عليه عمران ذلك وأوضح له أن المتبع فى عهد النبى هو صرف الزكاة لمستحقها فى المكان الذى جبيت منه . الا اذا فاض منها شيء فانه ينقل الى مكان آخر من طريق بيت المال الرئيسى .

وحديث آخر عن الامام احمد بن حنبل أنه قال : « لا نخرج صدقة قوم من بلد الى بلد الا أن يكون فيها فضل فعلم أنهم أنما كان يجرى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر من الصدقة أنما كان فضل عنهم يعطون ما يكتفون ويخرج الفضل عنهم » ومن هذا يتضح أن نظام جباية الزكاة وانفاتها فى مع أحدث النظم المالية للهيئات المحلية .

### ثالثا — الزكاة ضريبة على رأس المال والدخل :

من القواعد الأساسية فى النظم المالية أن الضرائب لا تقع الا على الدخل

لأنها تتجدد سنويا فيجب أن يكون وعاءها ممثلا لها في التجدد والتسكّر والوعاء الذي تنطبق عليه تلك الشروط هو الدخل حيث أنه مال دورى يؤول للفرد . أما إذا تجاوزت الضرائب دخول الأفراد وامتدت الى رؤوس أموالهم المنتجة لهذا الدخل وأخذت جانبها منها فانها تلتهم الثروة القومية تدريجيا وتحق شيئا فشيئا رأس المال القومى ولو أنه قد تحصل بعض الاستثناءات لهذه القاعدة وتفرض الضريبة على رأس المال بنسبة كبيرة بقصد الاستيلاء على جانب منه يفوق الدخل الذى يجره .

وهناك أسلوبان لربط الضرائب المباشرة على الدخل أحدهما ربطها على أساس رأس المال المنتج لهذا الدخل بحيث لا تقع الضريبة الا على الدخل المنتظر نتاجه من هذا المال ، والأسلوب الثانى ربطها على الدخل مباشرة بعد أن يقاس هذا الدخل بأحدى طرق القياس المعروفة لدى السلطات المالية ، وللدولة الخيار فى اصابة دخل الفرد بطريق الضرائب المباشرة بين ربطها على الدخل ذاته أو ربطها على رأس المال لاصابة الدخل المنتظر أو الجائز نتاجه منه .

وقد روعى فى فرض الزكاة أنه لا بد من توافر النصاب المحدد لها والذى يختلف بحسب نوع المال المفروضة فيه كما أنها لا تجب الا على مال نام مالا أو تقديرا حال عليه الحول ( أى مضى عليه سنة ) الذى هو مظنة انتاجه وأثماره ومظنة لأن يكون أداء الزكاة من ثمرته لا من أصله وقد أوصى الرسول باستثمار الأموال لتمتلى عائدا تؤدي منه الزكاة فتحافظ بذلك على رؤوس الأموال وتكون متداولة غير عاطلة . ويؤيد ذلك الحديث الشريف « الا من ولى يتيسر له مال فليتجر له فيه ولا يتركه فتاكله الصدقة » وفى هذا الحديث إشارة واضحة الى استثمار الأموال بعمرة ولى يتيم فما بالنا بأموالنا نحن ؟ من البديهي أنها أولى بالاستثمار ليكن أداء الزكاة من عائدها .

وعلى ذلك فهل الزكاة ضريبة على رأس المال أم على الدخل ؟ الواقع أن للزكاة وزعا فريدا بين الضرائب فهى تجب على رأس المال المتداول كالنقود وعروض التجارة ( السلع المعدة للتجارة ) ولا تجب على رأس المال الثابت كالمباني والأرضى وأدوات الحرفة التى يستعملها الصناع والحرفيون .. الخ . والزكاة بالنسبة للنقود وعروض التجارة تعتبر ضريبة على رأس المال المتداول والدخل معا حيث أنها تفرض على نهاية العام على هذه الأموال بالنسبة لأصلها والدخول التى تولدت عنها ، أما بالنسبة لرأس المال الثابت فانها لا تجب فيه إنما تجب على الدخل الناشئ عنه فقط ، فمثلا على زكاة عروض التجارة فانها تجب على رأس المال المتداول وصافى الربح مما حسب نتيجة الجرد والحسابات الختامية على نهاية العام اذ على التاجر أن يجرده ما عنده من سلع ويقومها ويضيف الى قيمتها ما عنده من أموال وديون قوية له على ذمة الغير ويخصم من ذلك الديون التى عليه للغير ( المطلوبات ) والنتاج هو وعاء ضريبة الزكاة . أما على حالة المحاصيل الزراعية فان الزكاة لا تجب على الأرض الزراعية وهى أصل ثابت بل تجب على المحصول الناتج منها بنسب خاصة فهى ضريبة على الدخل على حالة رأس المال الثابت .

ونخلص من ذلك الى أن ضريبة الزكاة تجب على رأس المال المتداول أو العامل والإيراد معا ، لا الأيراد وحده كما هو الحال فى الضرائب الحديثة . وسيكون موضوع المقال التالى باذن الله أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

# قالت صحف العالم

## وليس هو إلا الدين

لم يتعرض الدين اى دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، فى جميع العصور الماضية ، لثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بأنه خرافة ، وأنه أفيون الشعوب ، وأنه ضد العلم وضد الحضارة .. الى الأزرء على أهله ورميهم بأقبح التهم كالتعصب والتفائق والتخلف والرجعية ، وما الى ذلك ، هذا على حين أن الأكثرية من الأمم والشعوب ما تزال متمسكة بمعتقدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من أتباع الأديان السماوية أو من منتحلي الأديان الأخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لأن حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فإذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه والحفاظة على سلامته واستوائه ، فإن الروح التى بها يمد الإنسان إنسانا ، أولى بما يقيم أودها ويذكر شمسيتها ، وليس هو إلا الدين .

وإنك لترى كثيرا من المشرقين على أنفسهم فى ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب ، بل أنى لا أشك فى أن أكبر المحدثين حين تنزل به الفازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت إذ يستيقنه ، أن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على أن الدين فريزة طبيعية فى الإنسان لا يمكنه أن يتخلص منها ولا أن يتخلى منها وأن أنكرها أحيانا وتوه أنه يستطيع أن يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى شأن فرعون : ( فلما أدركه الفرق قال آمنت ) ، والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع أن نلم بها هنا . إنما المشكل الذى تحار فيه الأذهان ، هو أن يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى ، فى الوقت الذى تشن عليه الحرب التى لا هوادة فيها ، ويتاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التى أعلنت لا دينيتها بصراحة ، أو التى ما تزال تدعى بأنها متدينة رسميا .

والحقيقة أن المعركة ضد الدين ، ليست معركة الأمم والشعوب ، وإنما هى معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم وأخذوا زمام السلطة فيها إما باستعمال القوة والعنف أو بطريق المكر والجذاع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التى تهدم دعامات المجتمع المتدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم البنية على فلسفة مادية إلحادية .  
عن مجلة ( الراصد ) الهندية



# الفتاوى

## أذان الفجر

### السؤال :

يطلب بعض الناس بمنع أذان الفجر من مكبرات الصوت بدعوى أنه يزعج الأطفال ويؤذى المرضى ، فما رأى الإسلام في هذه الدعوى .. ؟

### الإجابة :

الأذان شرع لإعلام أهل المدينة أو القرية أو الحي بدخول وقت الصلاة للتوافد على المسجد لأداء الفريضة ، ونظرا لاتساع المدن والقرى والأحياء وما تحدثه المواصلات والمصانع وازدحام الناس من جلبة وضوضاء فإن الحاجة ماسة الى استعمال مكبرات الصوت للأعلام بدخول وقت الفريضة ، وصلاة الفجر تحين والناس نيام ، فهم في أمس الحاجة الى صوت يسمعهم ، ونظرا لما يطرأ على المسلمين في هذه الفترة من كسل وتراخ واستسلام للنوم الذي يجرهم من ثواب حضور هذه الصلاة المشهودة كانت الحاجة أشد الى من يهزهم للمبادرة لأدراك فضل الله الذي يفيضه على من يشهد هذه الصلاة .

ولصلاة الفجر أهمية خاصة فقد قال الله تعالى : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » والتذكير في اليقظة من النوم من إمارات النشاط والصحة والتأخر في النوم من علامات الخمول والضعف ، ونحن في عصر تنادى فيه بغضاسنة الانتاج ، واليقظة مبكرا خير عون على النشاط والعمل ، والاعتراض على أذان الفجر في مكبر الصوت نتيجة لعدم تذوق حلاوة وثمرة اليقظة المبكرة ، ونتيجة لعدم تذوق حلاوة الطاعة والوقوف بين يدي الله سبحانه في هذه الفترة من اليوم ، ونتيجة للسهر المضنى فيما لا ينفع ولا يفيد ، ولماذا لا نعود أطفالنا منذ نعومة أظفارهم هذه العادة الإسلامية الكريمة ، وأي شيء يتقوى نفسية المريض أكثر من ذكر الله والالتجاء اليه سبحانه وطلب الشفاء من عنده ؟ .

على أصحاب هذه الدعوة أن يتقوا الله ويجربوا بأنفسهم حلاوة الطاعة والعبادة والامثال لأمر الله .

## أجرة المواصلات

السؤال :

ركبت سيارة عامة ، واعطاني راكب ( تفكرته ) قبل ان ينزل فامسكتها بيدي ، ولما رآها المحصل لم يطالبني بثمن تفكرة ، فهل هذا حرام أم حلال .. وما الحل اذا كان حراما .. ؟

الإجابة :

هذا تهرب واحتيال على دفع ثمن أجرة الركوب ، والراكب الذي أعطاك تفكرته شريك لك في الإثم ، ويجب عليك أن تردّه ( للهيئة التي تملك السيارة ) وذلك بأن تشتري تفكرة ولا تتركب بها ، أو تشتري تفكرتين واحدة لسداد الدين الذي عليك ، والاخرى ثبنا لركوبك مرة ثانية ، ولا داعي لاعلام المحصل بالقصة والله يستار كريم .

## تصفيف الرجال شعر النساء

السؤال :

هل هناك مانع شرعا يمنع الرجال من تصفيف وقص شعر النساء .. ؟

الإجابة :

قيام الرجل بتصفيف ، أو قص شعر المرأة الأجنبية عنه حرام شرعا ، إذ يحرم على الأجنبي لمس جسم المرأة أو شعرها إلا عند الضرورة ، كأن يكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ، وتصفيف الشعر أو قصه ليس من الضرورات التي تبيح ذلك . ويجوز للمرأة أن تقوم بهذا العمل .

## في الميراث

السؤال :

توفيت زوجة عن زوج وبنتين واب وام ، ولم تترك إلا اثاث منزلها ، وقدّرت قيمته بالف دينار ، وتركّت مؤخر صداقها وقدره ثلاثمائة دينار ، فهل يضم مؤخر الصداق إلى التركة .. ؟ وهل يرث الزوج فيه .. ؟ وما نصيب كل وارث .. ؟

الإجابة :

مؤخر الصداق يعتبر شرعا دينا للزوجة على الزوج ، يحل سداذه إما بالطلاق أو بالوفاة ، وبناء على هذا إذا توفيت الزوجة كان مؤخر الصداق تركة لها ويورث منها ، فيضم إلى جميع تركتها ويأخذ كل وارث نصيبه الشرعي فيها بما في ذلك مؤخر الصداق ، وتوزع التركة على النحو التالي :  
— للزوج الربع . وللبنتين الثلثان . وللأب السدس وللأم السدس .  
تجميع التركة وتقسّم على ١٥ مضروبة في سهم كل وارث . ليخرج نصيبه من التركة .

## تفسير آية

أرسل القاريء السيد وليد إبراهيم سعيد يستفسر عن معنى قوله تعالى :  
( وأن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر  
الظالمين فيها جثيا ) .

\*\*\*\*\*

ونقول للقاريء الكريم جاءت هذه الآية الكريمة فسى معرض الحديث عن  
البعث والمنكرين له :

( ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا ) ؟ .. ويقرر القرآن الكريم  
ان البعث اقرب الى التصور من النشأة الاولى ( اولا يذكر الانسان انا خلقناه من  
قبل ولم يكن شيئا ) ؟ ثم يتسم الله سبحانه أنهم سيحشرون بعد البعث لا محالة  
( فوربك لنحشرنهم ) ولن يكونوا وحدهم بل (والشياطين) جاثين على ركبهم فى ذلة  
ومزع حول جهنم .. ثم ينزع منهم من كانوا اشد عتوا وتجبرا ويلقون فى النار ..  
وان الله ليعلم من هم أولى بان يصلوها .. وان المؤمنين ليشهدون هذا العرض  
الرهيب .. فهم يردون فيبدون منها وهى تتميز وتتلظ ويرون الطغاة العتاة  
يتذمون فيها .. ( وأن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ) .. ثم يزحزح  
المؤمنون عنها وينجون بأعمالهم ( ثم ننجى الذين اتقوا ) ويبقى فى العذاب أولئك  
الطغاة ( ونذر الظالمين فيها جثيا ) .

ومن هنا نرى ان ورود الجحيم المقصود فى الآية الكريمة بالنسبة للكفار  
دخول فيها .. وبالنسبة للمؤمنين مرور بها ومشاهدتها عن قرب ..  
وقيل : جميع الخلق يدخلونها فتكون بردا وسلاما على المؤمنين .. وويالا  
ونكالا على الكافرين .

وقيل : ان الورد ممر عليها .. قال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثم  
يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلعج البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس ( أى :  
كعدو الفرس ) ، ثم كالراكب فى رحله ، ثم كشد الرجل ، ثم كمشيه .  
وقيل : ورودها : حضورها .

وقيل أيضا : ورود المسلمين مرور على الجسر ، وورود المشركين دخولها .

## نظرية دروين

كلما قرأت عن نظرية دروين أجد شكاً فى صدري وحيرة وقلقا .. فبعضهم  
يقول : نظرية دروين تتعارض مع الدين .. وبعضهم الآخر يقول : بل هى  
لا تتعارض مع الدين ...

أرجو إجابتي عن الآتي :

- ١ - هل أصل الإنسان فرد أو أصله أنسان . وما رأى العلماء ؟
  - ٢ - هل ما ورد في تفاصيل نظرية النشوء والارتقاء حقائق علمية يستطيع صاحبها ان يجزم بصحتها ام انها مجرد احتمالات ؟
  - ٣ - هل تتعارض فكرة التطور مع الدين ام لا ؟
- أرجو التكرم بإجابتي مع الشكر .

على دهب عبد الجابر  
كلية الاقتصاد - جامعة الخرطوم

ونقول للقارئ الكريم :

أولاً : ان اصعب مسألة من مسائل علم الحياة استبهمت على علماء الطبيعة هي : ما هو مبدأ الحياة ؟  
وديننا يجيب على هذه القضية في يسر وسهولة .. بما يتفق مع العقل الواعي والفطره السليمة .. فهناك قوة عليا هي التي اوجدت الحياة والاحياء .. وجعلت بين المخلوقات تنوعا وتفاضلا يدل على الخلق الحكيم .. الله سبحانه وتعالى ( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) . وكل الآثار الموجودة في الكون والمشاهدات والقوانين الطبيعية المحسوسة تدل عليه سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل ..

أما بعض علماء الغرب : فلهيئب أو لآخر لم يشاءوا ان يؤمنوا بما هو فوق الطبيعة فراحوا يبحثون عن ملة هذه الحياة .. وكيفية نشوئها وتطورها ضاربين هنا وهناك محاولين التخلص من الاقرار بوجود قوة عليا .. قادرة .. خالقة .. ملجأوا في تفسير ظواهر الحياة الى القياس والخرس والرجم بالفيب . وقصد قال الله : ( ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ) .  
لذا فالتقول الحق هو قول القرآن الكريم ( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ) .. فقد خلق الإنسان أنساناً منذ اللحظة الأولى .. ولم يكن شيئاً آخر غير كونه أنساناً ..

ثانياً : ما قال دروين انه قد ادرك الحقيقة .. والقائلون بنظريته لا يعتبرون قياسهم حقيقة ومكرتهم واقعا .. بل قال دروين وقالوا : ( نظن كذا ) .. و ( لعل كذا ) .. ولكن اناسا ادعوا العلم تلقفوا النظرية ولقنوها لتلاميذهم على انها حقيقة واقعة بعد ان حذفوا ( نظن ) و ( لعل ) . فما تزال نظرية النشوء والارتقاء حتى اليوم مجرد نظرية خيالية لا أساس لها في الواقع .. والأمر الجدير بالاعتبار هو اليقين والواقع لا التخمين والرجم بالفيب .

ثالثاً : ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع الخلائق على ما هي عليها .. وأبقي منها على قيد الحياة ما تدمو اليه حاجة الانسان .. وهلك ما لم تعد هناك حاجة له ( الله خالق كل شيء ) .. وقال تعالى ( يليها القاس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ) .

فليس هناك دليل واحد على تطور هذا من ذاك .. ولو انطلق دروين من بحثه من حقيقة وجود الخالق لملم ان التنوع والتفاضل من الخلية الواحدة السمة الانسان الكامل جاء نتيجة لتخطيط حكيم مدبر .. وان الحكيم المدبر ما زال يخرج كل الانواع الى حيز الوجود بزيائها المخصوصة المتنوعة بالتدرج .. تعالى الله وجلت قدرته .

# بأقلام القراء

## للاستاذ : ق . ق

ان المبادئ البشرية مهما تعددت أسماؤها ، وتغيرت ألوانها تجمعها سمة واحدة وميزة بارزة ، وهذه الميزة البارزة هي انها لا تعترف بتوحيد الله ، وهذه المبادئ البشرية تسلك أحد سبيلين لا ثالث لهما هي انكار وحدانية الله . السبيل الأول هو ان تغالط ، وتكذب ، منكر وجود الله متخذة من هذا الانكار تبريرا لتصرفها في وضع هذه المبادئ البشرية المعتمدة على الاحاد وانكار وجود خالق السموات والارض .

والسبيل الثاني ان تشرك بالله آلهة أخرى ، وتحدد واجبات كل اله . وهذا النهج الذي نهجته المبادئ البشرية التي تدعى انها لا تنكر وجود الله ، او لا تمنع عبادته وتقصد بالعبادة المفهوم الضيق الذي تحدده هي ، او انها لا تمنع الناس من دخول المساجد او وجود بعض المساجد التي لم تستطع هدمها حتى الآن والتي يؤمنها بعض المعجزة في الوقت الذي لا يكون للشرعية او المسجد أي توجيه في الحياة العامة ، انه مسلك تعدد الالهة الذي انتشر في بلاد اليونان في عصرهم الذي يسمى بالعصر الذهبي فقد تعددت الالهة عندهم ، وحددوا واجبات كل اله ، فبعد ان صنعوا آلهة من حجر قالوا : هذا هو اله الجمال ، وهذا هو اله الحب ، وهذا هو اله الرياضة ، وهذا اله الحرب ، وهذا اله الزرع . والمنطق الصحيح يقضى أحد أمرين ، اما أن تكون هذه آلهة حقا ، واما ألا تكون كذلك ، فان كانت آلهة حقا فلا يستطيع أحد من البشر ان يحدد واجباتها . فيقول لها انت اله للجمال فقط ، او غيره . واياك اياك ان تتدخل في أمور أخرى . يالها من آلهة عاجزة زائفة يحدد واجباتها المخلوق .

ولقد تكررت المهزلة في القرن العشرين وظن مخترعو المبادئ البشرية ان خالق السموات والارض شأنه شأن الالهة الزائفة ، التي اخترعها اليونان ، فقالوا انه داخل المسجد فاعيدوه داخله ، واياكم اياكم ان تعبدوه خارجه . وهذا يقال دائما على السنة انصار المبادئ البشرية بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، بل انهم يقولونه بلسان المقال وان اختلفت الاساليب والمعنى واحد ، فيقولون اتبعوا الاسلام داخل المسجد وادوا الصلاة لا تمنعكم منها ، ولكن إذا خرجتم من المسجد فاتبعوا سبيلا غيره اتبعوا للاقتصاد سبيل الاقتصاد الجماعي فانه لا

يتعارض مع الاسلام واتبعوا سبيل الديمقراطية للسياسة فان الاسلام ديمقراطي واتبعوا سبيل الوجودية للتفكير فان بعض فلاسفة الوجودية مؤمنون ، فلا ضير عليكم اذا اتبعت سبيلها ، وعليكم باتباع فلسفة البراجماتزم النفعية للاخلاق أو فلسفة فرويد سواء بسواء ، أما قواعد علم الاجتماع فعليكم باقتباسها من الغرب فان الاسلام يؤيد الحضارة الغربية بقضها وقضيضها وبشرها وخيرها ( ان كان فيها خير ) هذه الأقوال التي يرددنها الكثيرون ، ويرددها البعض بجدية تامة لا اثر فيها للهنة ، ولا أدري من يخادع هؤلاء ، الا يعلم هؤلاء انهم اذا استطاعوا خداع بعض السذج والبسطاء فانهم لا يستطيعون خداعه رب السماء وهم يتجراون على مبارزته ومسح شرعه .

ان مثل هذه الحكايات التي تصدر من هؤلاء الذين يريدون تطبيق شرائعهم بدلا من شرع الله بدموى أنهم مسلمون وانهم مؤمنون وانهم يحبون الاسلام ويريدون الخير له وهم يتصدرون لتصحيحه في نظرهم أو بالأحرى لتحريفه ان هذه الحكايات لا تروج الا على الجفلة فكيف على رب العالمين ؟ ان هؤلاء فيما اعتقد لم يبلغ بهم الغباء الى هذه الدرجة ، ولكنهم يريدون شق الطريق لدعواتهم الباطلة وأوهامهم الزائفة بالخداع والغش .

والخلاصة هناك ثلاثة طرق فحدد ايها المسلم موقفك منها :

١ - طريق الاخلاص والوضوح والاستقامة وذلك بتوحيد الله واتباع نظامه الذي أنزله من السماء وقام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه الى الناس على صورته النهائية سالما من التحريف والتغيير ، ومن مستلزمات اتباع هذا الطريق أن يكرر الانسان بما عده لانه النظام الحق ، وما عده باطل ، وهذا هو سبيل الاسلام ، وهذا هو المبدأ الذي ميناه على شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولا يبنى مبدا سواه على هذا الاساس .

٢ - طريق التلون والخداع وانصاف الطول والتسليم الجزئي اشارة للسلامة ومعرفة الضعف الكامن في السبيل الذي يتبعونه وهو سبيل الاشراك بالله آلهة أخرى ، وهو الجانب النظري في هذا الطريق ، وأما الجانب العملي فهو الاشراك مع نظام الاسلام أنظمة أخرى ، وهو في الحقيقة عند الهدنة بين الكفر والايمان وهي محاولة باطلة ، هؤلاء يقومون بتشريع ما يشاؤون ، ثم يقولون ان هذه الامور خارج نطاق صلاحية الخالق ، ويشمل هذا الطريق جميع الانظمة التي اخترعها البشر خارج حدود الخلافة التي منحها الله للبشر للتصرف في هذه الارض بمقتضى حدود الله وتشريعه واوامره ونواهيه ، وهذه هي الانظمة التي تزعم انها لا تحارب الدين أو لا تعارض معه أو تؤيده مثل الديمقراطية والراسمالية والاقطاعية والفوضوية والوجودية والجاهلية العربية التي تزعمها أبو جهل وأبو لهب والتي حاربها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رضخت لله في كل شأن من شؤون حياتها وكل مبدأ يدمي أنه لا ينكر الله صراحة أو جهره وهذه المبادئ تقول ان هناك آلهة أخرى سوى الله بلسان الحال ان لم تقلها بلسان المقال .

٣ - طريق المكابرة والمغالطة وتزوير الحقائق وهو طريق انكار الله ، وهذه الفكرة ترتكز عليها كافة المبادئ اللاحادية التي تنكر الله جهرة وعلى هذا الاساس وهو انكار الله سولت لنفسها أن تضع تشريعا بدلا من تشريع الله ، وقد تكون منطلقاته أكثر من الثانية لولا أن اثبات ما استندت عليه ضرب من الحصل .

والله سبحانه وتعالى ان يقل من البشرية الا أن تتبع الطريق الاول « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » .

# الاحتفال باليوم الوطني

## اعداد الاستاذ فهمي الامام

- السنة الاولى : فترة صباحية ٦٢٪  
فترة مسائية ٨٠٪ .
- السنة الثانية : فترة صباحية ٧١٪  
فترة مسائية ٦٧٪ .
- السنة الثالثة : فترة صباحية  
٨٢٪ فترة مسائية ٩٠٪ .



● يبدو في الصورة سيادة الوكيل  
الاستاذ عبد الرحمن المجحم وسيادة  
الوكيل المساعد الاستاذ عبد الرحمن  
الفارس وهما في زيارة لدار القرآن  
الكريم أثناء الامتحان .

● بدأت الدراسة الصيفية في مراكز  
جمعية الاصلاح الاجتماعي لتحفيظ  
القرآن الكريم ، وعددها ١٧ مركزاً  
للبنين و ٣ مراكز للبنات ومما يذكر  
انه مع تحفيظ القرآن الكريم تلقى  
دروس في التفسير والحديث والسيرة  
والفقه .

● وافق مجلس الوزراء مسلي

## الكويت :

● احتفل بتخريج الدفعة الرابعة من  
الطلبة الضباط في كلية الشرطة  
برعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس  
الوزراء ، وتتألف الدفعة من خمسين  
ضابطاً كويتياً وضابطاً من دولة  
الإمارات العربية ودولة البحرين .

● أعلن الشيخ صباح الأحمد وزير  
الخارجية والأعلام بالوكالة أن دعم  
الكويت لنضال الدول العربية يتم بدون  
أية مطالبة بثمن لهذا الدعم ، وأوضح  
أن تأييد الكويت المطلق لدول المواجهة  
لا صلة له بأي اعتبار آخر غير  
التضامن الحقيقي والطبيعي بين الدول  
العربية .

● شاركت وزارة الأوقاف والشئون  
الإسلامية في الاحتفال بيوم البيئة  
العالي ، وذلك عن طريق السويعظ  
والخطب لزيادة توعية المواطنين  
للمحافظة على نظافة بيئتهم .

● انتهت لجنة التقويم الإسلامي  
المنبثقة من مؤتمر وزراء الأوقاف  
والشئون الدينية والإسلامية العرب  
من وضع مشروع التقويم وفقاً للأسس  
المتفق عليها ، والتي تجمع بين الحكم  
الشرعي والحساب الفلكي .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول  
في دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة  
النجاح كالآتي :

القرآن الكريم ، وتعميمها في جميع الامارات .

#### عمان :

● قدمت وزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية في الاردن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية الى الجامعة العربية الاسلامية في الولايات المتحدة .

#### ليبيا :

● وافقت الحكومة الإيطالية على إنشاء مركز ومسجد ومكتبة اسلامية بروما وستتولى ليبيا الاشراف على هذا المشروع الاسلامي .

#### لبنان :

● افتتح في بيروت المؤتمر الاسلامي العام . اشتركت فيه مختلف الهيئات الاسلامية في لبنان . . . وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها في محيط الدعوة الى الله والعمل المشر .

#### اخبار متفرقة

#### روما :

● وافق المجلس البلدي لمدينة روما على منح قطعة أرض مساحتها ٣٠ ألف متر مربع في شمال المدينة لمشروع بناء مسجد وقاعة محاضرات ومركز اسلامي .

#### اكسرا :

● تدرس منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين انشاء جامعة اسلامية في مالي تكون مهمتها الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التي تعقد في جامعات غرب افريقيا .

#### جاكرتا :

● أصدر وزير الداخلية قرارا باغلاق دور الفسق في جاكرتا الشمالية .

المساهمة بمبلغ ٣٦ ألف دينار . في دعم المختبرات والمعامل العلمية لجامعة الأزهر .

● اصدرت وزارة العدل احصائية بحالات اشهار الاسلام التي تمت في قسم الاحوال الشخصية خلال عام ٧٣ . وقد بلغ عدد من اشتهروا اسلامهم ٥٤ شخصا من جنسيات مختلفة .

#### مصر :

● صرح الامين العام للجامعة العربية بأن مؤتمر القمة العربي سيعقد في الاسبوع الاول من شهر سبتمبر المقبل بالرباط .

● استنكر مجمع البحوث الاسلامية في اجتماع عقده برئاسة الامام الاكبر الدكتور عبد الحلیم محسود شيخ الازهر مشروع تيسير اللغة العربية وذلك بالتخلي عن القواعد الاساسية للغة واحلال العامية مكان الفصحى . وحذر المجمع من خطورة هذا المشروع الذي يهدف الى قطع صلة المسلمين بقرائهم وتراثهم الاسلامي .

#### السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بتسليم قصر النيابة بجدة ليكون مقرا مؤقتا للبنك الاسلامي .

● بلغ عدد المسلمين في الدنمرك ١٥ ألف مسلم ، وقد تبرع جلالة الملك بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني لمشروع بناء مركز اسلامي هناك .

● تلقى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي قائمة تتضمن أسماء ثلاثين ضابطا في حكومة الغابون قد اعلنوا اسلامهم .

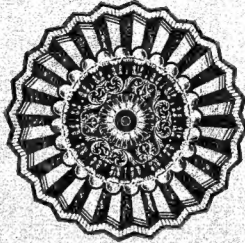
#### بو ظبي :

● بدأت وزارة الشؤون الاسلامية الحديثة عملها بفتح مدارس لتحفيظ



# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي |      |     |     |      |      | المواقيت الشرعية بالزمن القروني |      |     |     |      |      | اليوم<br>والليلة |          | الأيام<br>والساعات |
|---------------------------------|------|-----|-----|------|------|---------------------------------|------|-----|-----|------|------|------------------|----------|--------------------|
| فجر                             | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء | فجر                             | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |                  |          |                    |
| دس                              | دس   | دس  | دس  | دس   | دس   | دس                              | دس   | دس  | دس  | دس   | دس   | دس               | دس       | دس                 |
| ١٣٢                             | ٨٣٣  | ٤٥٩ | ٩٥٨ | ٨١٢  | ٨٢٣  | ٦٥٠                             | ٣٣٣  | ١٤٨ | ٤٤٨ | ٣٢   | ٢١   | ١                | الجمعة   |                    |
| ٣٣                              | ٣٣   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٣   | ٥٠                              | ٢٣   | ٤٨  | ٤٨  | ٢    | ٢٢   | ٢                | السبت    |                    |
| ٣٣                              | ٣٣   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٣   | ٥٠                              | ٢٣   | ٤٨  | ٤٨  | ٢    | ٢٣   | ٣                | الاحد    |                    |
| ٣٣                              | ٣٣   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٣   | ٥٠                              | ٢٣   | ٤٨  | ٤٩  | ٢    | ٢٤   | ٤                | الاثنين  |                    |
| ٣٣                              | ٣٣   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٣   | ٥٠                              | ٢٤   | ٤٩  | ٤٩  | ٣    | ٢٥   | ٥                | الثلاثاء |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٤   | ٤٩  | ٤٩  | ٣    | ٢٦   | ٦                | الأربعاء |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٥٩  | ٥٨  | ١٢   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٤   | ٤٩  | ٤٩  | ٣    | ٢٧   | ٧                | الخميس   |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٥٠٠ | ٥٩  | ١٣   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٥   | ٥٠  | ٥٠  | ٤    | ٢٨   | ٨                | الجمعة   |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٠٠  | ٥٩  | ١٣   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٥   | ٥٠  | ٥٠  | ٤    | ٢٩   | ٩                | السبت    |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٠٠  | ٥٩  | ١٣   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٥   | ٥٠  | ٥٠  | ٤    | ٣٠   | ١٠               | الاحد    |                    |
| ٣٣                              | ٣٤   | ٠٠  | ١٠٠ | ١٤   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٥   | ٥١  | ٥١  | ٥    | ١١   | ١١               | الاثنين  | يوليو              |
| ٣٣                              | ٣٥   | ٠٠  | ٠٠  | ١٤   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٦   | ٥١  | ٥١  | ٥    | ٢    | ١٢               | الثلاثاء |                    |
| ٣٣                              | ٣٥   | ٠٠  | ٠٠  | ١٤   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٦   | ٥١  | ٥١  | ٥    | ٣    | ١٣               | الأربعاء |                    |
| ٣٣                              | ٣٥   | ١   | ١   | ١٥   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٦   | ٥٢  | ٥٢  | ٦    | ٤    | ١٤               | الخميس   |                    |
| ٣٣                              | ٣٥   | ٢   | ١   | ١٥   | ٢٤   | ٥١                              | ٢٦   | ٥٢  | ٥٢  | ٦    | ٥    | ١٥               | الجمعة   |                    |
| ٣٣                              | ٣٦   | ١   | ٢   | ١٦   | ٢٣   | ٥١                              | ٢٧   | ٥٢  | ٥٣  | ٧    | ٦    | ١٦               | السبت    |                    |
| ٣٣                              | ٣٦   | ١   | ٢   | ١٧   | ٢٣   | ٥١                              | ٢٧   | ٥٢  | ٥٣  | ٨    | ٧    | ١٧               | الاحد    |                    |
| ٣٢                              | ٣٧   | ٢   | ٣   | ١٨   | ٢٣   | ٥٠                              | ٢٧   | ٥٢  | ٥٤  | ٨    | ٨    | ١٨               | الاثنين  |                    |
| ٣٢                              | ٣٧   | ٢   | ٤   | ١٩   | ٢٢   | ٥٠                              | ٢٧   | ٥٢  | ٥٤  | ٩    | ٩    | ١٩               | الثلاثاء |                    |
| ٣٢                              | ٣٧   | ٣   | ٥   | ٢٠   | ٢٢   | ٥٠                              | ٢٧   | ٥٣  | ٥٥  | ١٠   | ١٠   | ٢٠               | الأربعاء |                    |
| ٣٢                              | ٣٨   | ٣   | ٥   | ٢١   | ٢٢   | ٥٠                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٥  | ١١   | ١١   | ٢١               | الخميس   |                    |
| ٣١                              | ٣٨   | ٣   | ٦   | ٢٢   | ٢١   | ٥٠                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٦  | ١١   | ١٢   | ٢٢               | الجمعة   |                    |
| ٣١                              | ٣٩   | ٤   | ٧   | ٢٣   | ٢١   | ٤٩                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٦  | ١٢   | ١٣   | ٢٣               | السبت    |                    |
| ٣١                              | ٣٩   | ٤   | ٨   | ٢٤   | ٢٠   | ٤٩                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٧  | ١٣   | ١٤   | ٢٤               | الاحد    |                    |
| ٣١                              | ٤٠   | ٥   | ٩   | ٢٥   | ٢٠   | ٤٩                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٧  | ١٤   | ١٥   | ٢٥               | الاثنين  |                    |
| ٣١                              | ٤٠   | ٥   | ١٠  | ٢٦   | ١٩   | ٤٨                              | ٢٨   | ٥٣  | ٥٨  | ١٤   | ١٦   | ٢٦               | الثلاثاء |                    |
| ٣١                              | ٤١   | ٥   | ١٠  | ٢٧   | ١٩   | ٤٨                              | ٢٩   | ٥٣  | ٥٨  | ١٥   | ١٧   | ٢٧               | الأربعاء |                    |
| ٣١                              | ٤١   | ٦   | ١١  | ٢٨   | ١٨   | ٤٨                              | ٢٩   | ٥٣  | ٥٩  | ١٦   | ١٨   | ٢٨               | الخميس   |                    |
| ٣٠                              | ٤٢   | ٦   | ١٢  | ٢٩   | ١٧   | ٤٧                              | ٢٩   | ٥٣  | ٥٩  | ١٦   | ١٩   | ٢٩               | الجمعة   |                    |



### أم المؤمنين .. السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

- اسمها :** زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه .
- أبها :** أمية بنت عبد المطلب بن هاشم . عمه الرسول صلى الله عليه وسلم .
- زواجها :** تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تطليقها من مولاها ومبتناه زيد بن حارثة .. لتتبرع إبطال عادة النبي التي كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله قصتها في القرآن « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها لئلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » .
- روايتها للحديث :** روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث .. وروى عنها عدد من الصحابة .
- فضلها :** قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها : « ان زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : « الخائض المضرع وان إبراهيم لحليم أواه مريب » .
- وقالت عنها أم سلمة : « كانت صالحة صوامة قوامة » .
- وقالت عنها عائشة حين ماتت : لقد ذهبت حبيدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . وكانت رضي الله عنها تصنع بيديها أشياء وتصدق بها في سبيل الله .
- وفاتها :** قالت حين حضرتها الوفاة : اني قد أعددت كفني وان عسر سبيعت الى بكنن فتصدقوا بأحدها وان استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا . وكانت أول من ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه .
- رحلت الى جوار ربها سنة عشرين ، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب .
- رضي الله عنها وأرضاها .

## « إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بتقص الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتغاديا لمبيعات المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منفذا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع مقعد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

|            |  |
|------------|--|
| القاهرة :  | شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.   |
| السودان :  | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : ( ٣٥٨ ) .  |
| ليبيا :    | { طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : ( ١٣٢ ) .<br>بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : ( ٢٨٠ ) . |
| المغرب :   | الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .   |
| تونس :     | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .   |
| لبنان :    | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٨ ) .  |
| عُـدـن :   | مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٧ ) .  |
| الأردن :   | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) .  |
| السعودية : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ ) .  |
|            | الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٢ ) .   |
|            | الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ ) .   |
|            | الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : ( ٢٢ ) .  |
|            | مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .  |
| المراق :   | المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .  |
|            | بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .  |
|            | البحرين :  |
| قطر :      | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .   |
| ابو ظبي :  | الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : ( ٥٢ ) .  |
|            | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : ( ٨٥٧ ) .  |
| دبي :      | مطبعة دبي .  |
| الكويت :   | مكتبة الكويت المتحدة .   |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

## اقراء في هذا العدد

|     |                                |                                     |
|-----|--------------------------------|-------------------------------------|
| ٤   | للمعلم كبير                    | آية الكرسي                          |
| ٩   | للاستاذ محمد عزة دروزة         | القصص القرآنية (٢)                  |
| ١٧  | للاستاذ عبد القادر طائش        | اضواء على حركة المناهقين            |
| ٢٢  | للدكتور يوسف حسن نوفل          | ابو حيان التوحيدى (كتاب الشهر)      |
|     |                                | واذا فما هو السر فيها               |
| ٢٨  | للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي | نمانيه من التخلف ؟                  |
| ٢٨  | للدكتور مازن المبارك           | الاسس والاثار الحضارية              |
| ٤٤  | للاستاذ أنور الجندى            | عبد الله القتل                      |
| ٤٨  | للاستاذ محمود حسن اسماعيل      | صلاة للشهداء ( قصيدة )              |
| ٥٢  | للدكتور محمد نوري فنيش الله    | منهج الاسلام في التكافل الاجتماعى   |
| ٦٢  | للاستاذ محمد ابيب الوهي        | ان تدق الاجراس ؟ ( قصة )            |
| ٦٨  | للاستاذ عبدالكريم الدالحي      | بالاسلام ستيدين الانسانية           |
| ٧٨  | للدكتور محمود محمد زيادة       | اليهود وتأمرهم (٢)                  |
| ٨٢  | التحرير                        | مائدة القاريء                       |
| ٨٦  | للاستاذ احسان صدقي العميد      | المفاوضات بين العرب المسلمين والروم |
| ٩٤  | تحقيق الاستاذ عيد العليم عويس  | مع الامين العام للمؤتمر الاسلامى    |
| ٩٩  | للدكتور ابراهيم فؤاد           | نحو اقتصاد اسلامى (٢)               |
| ١٠٤ | التحرير                        | قالت الصحف                          |
| ١٠٥ | التحرير                        | الفتاوى                             |
| ١٠٧ | التحرير                        | بريد الوعي                          |
| ١٠٩ | التحرير                        | باقلام القراء                       |
| ١١١ | اعداد الاستاذ فهمى الامام      | الاخبار                             |
| ١١٢ | التحرير                        | التقويم                             |
| ١١٤ | التحرير                        | ام المؤمنين السيدة زينب             |